د. السيد حسين جلال (*)

بور سعيد مركز التقاء ثقافات وحضارات الشــرق والغــرب

نشأة ونمو المدينة :

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وبالتحديد فى ٢٥ أبريل ١٨٥٩ أقيم حفل متواضع إيذانا بالبدء فى عمليات حفر المدخل الشمالى لقناة السويس ، وقد شهد الحفل جمع من مستخدمى الشركة والمقاول العام وفريق من العمال المصريين، بلغ عددهم فى ذلك اليوم نحو مائة عامل جئ بهم من دمياط والنواحى القريبة منها وألقى دى لسبس خطابا قال فيه : «نضرب أول معول فى الأرض التى ستفتح أبواب الشرق لتجارة الغرب وحضارته»(١).

وأخذت المدينة تنمو مع سير عمليات الحفر ، وأخذت المبانى الحجرية المتماسكة تتزايد لتحل محل المنشآت الخشبية ، وبدأ وصول القناصل ثم الجرائد المحلية وافتتحت المدارس وشيد البنك العثمانى فرعا له ببورسعيد (١٨٦٣) ، وصارت بور سعيد مدينة وليدة ، ارتبطت الحياة فيها بالميناء الذى افتتح للملاحة العالمية فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ . وقد أطلق عليها البعض اسم : «بوابة الشرق» .

وعلى الشاطئ الشرقى (الضفة الآسيوية) أنشئت مدينة جديدة هى بور فؤاد فى عام ١٩٢٦ لسكنى مستخدمى وعمال شركة قناة السويس علاوة على الورش الخاصة بصيانة الوحدات البحرية للشركة . وقد خططت هذه المدينة تخطيطا حديثا فشوارعها واسعة ومحاطة بالحدائق الجميلة (٢).

---

* كلية الآداب – بدمنهور– جامعة الإسكندرية .

التركيب السكانى لبورسعيد :

شهدت الفترة من ١٨٥٩ إلى ١٨٦٩ جنبا سكانيا كبيرا وخاصة من الأجانب الذين قدموا بحثا عن الثروة والعمل فى هذا الموقع الاستراتيجى الهام وساعد على ذلك سياسة دى لسبس وشركة قناة السويس من جهة وسياسة الخديوى سعيد وإسماعيل من جهة أخرى، فقد فتحوا أبواب مصر على مصراعيها للأجانب ، ويذهب الدكتور محمد صبرى (السربونى) فى وصف هذه الحركة «إلى أنها كانت أقرب إلى الغزو منها إلى الهجرة»(٣).

وعندما ألغيت السخرة فى حفر القناة ووفد إلى مصر جموع متباينة من العمال الأجانب اضطرب حبل الأمن وكثرت حوادث القتل والسطو ، وتعددت حوادث الاعتداء على الشرطة ومهاجمة مراكز قواته .

وكان وقوع هذه الحوداث بكثرة بين العمال أمرا متوقعا ، إذ كانوا على قدر كبيير من التنافر فى الأخلاق والعادات والتقاليد والأمزجة واللغة ، فكان لابد من الصدام. أضف إلى ذلك إن كثيرا منهم كانوا من المتعطلين الذين ضاقت بهم سبل الحياة فى أوطانهم فجاؤا إلى مصر التماسا للرزق فى عمليات حفر القناة ، فكانوا فى حال من الفقر . وقد وصف محافظ الإسكندرية العمال الإيطاليين الذين وفدوا إلى مصر فى أكتوبر ١٨٦٥ بأنهم : «من سفلة الناس» (٤).

وعند افتتاح قناة السويس ١٨٦٩ بلغ تعداد سكان مدينة بور سعيد حوالى عشرة آلاف نسمة ، وبعد ثمانين عاما فقط أصبحت ثالثة مدن القطر المصرى وبلغ عدد سكانها ١٢٥٠٠٠ نسمة (٥)، وجمعت أخلاطا شتى : يونانيين وفرنسيين وإيطاليين ونمساويين وبريطانيين ومالطيين وهنود وقبارصة علاوة على الشوام والمصريين . وكانت الجالية اليونانية من أكبر الجاليات الأجنبية فى بور سعيد ، وكانوا محل تقدير دى لسبس، حتى أنهم طلبوا منه تعديل اسم بور سعيد إلى : «كاسوس الجديدة» (٦)، ولكن دى لسبس خشى غضب إسماعيل (٧).

والجدير بالذكر إن الجاليات الأجنبية وفدت إلى بور سعيد فى ظل نظام التسلط القنصلى والامتيازات الأجنبية ، فاستغلت هذه الامتيازات أسوأ استغلال، كما سارعت الدول لإقامة قنصليات لها فى بور سعيد بلغت ١٤ قنصلية .

أما بالنسبة للمصريين فقد توافدوا من محافظات : دمياط والدقهلية وكفر الشيخ والغربية والصعيد باحثين عن فرص عمل بالمدينة والميناء الجديدين.

الحى الإفرنجى والحى العربى:

انقسمت المدينة إلى قسمين:

أولا- الحى الإفرنجى:

ويقع إلى الشرق والشمال الشرقى للمدينة حيث أقام به الأجانب وقد توفرت لهم كافة أسباب الحياة فى ظل الخدمات الممتازة من محلات ومطاعم بأنواعها ومقاهى وفرق موسيقية وكباريهات وخمارات وفنادق وميادين عامة وحدائق ومحلات للعب القمار .. الخ وكان الطراز المعمارى لمنشآت بور سعيد يجمع بين الطابعين العربى والأوربى ، تحميها أسقف مائلة ومزودة بالشرفات والفراندات الزجاجية وكذلك مبنى شركة قناة السويس ذى القباب الثلاثة والبواكى والكنائس ذات الطراز القوطى.

التماثيل :

كذلك ازدانت المدينة بالتماثيل التى تخلد شخصيات فرنسية وأخرى إنجليزية نذكرها حسب ترتيب إقامتها زمنيا، فبعد عودة الإمبراطورة أوجينى لفرنسا عقب حفلات افتتاح قناة السويس (١٨٦٩) أوصت المثال الفرنسى (الإيطالى الأصل) بارتولدى Bartholdi بصنع تمثال ليوضع فى مدخل قناة السويس الشمالى، وانتهى المثال من صنع التمثال الذى بلغ ارتفاعه ٤٦ مترا وهو يمثل سيدة ترمز للحرية وتحمل فى يدها شعلة . وقبل تنفيذ إقامة هذا التمثال قامت الحرب السبعينية بين فرنسا وبروسيا وانتهت بهزيمة فرنسا سنة ١٨٧٠ ودخلت القوات الروسية باريس وأسرت الإمبراطور نابليون الثالث وهربت الإمبراطورة أوجينى ونجلها لويس نابليون إلى إنجلترا وبقى التمثال إلى أن قامت الرابطة «الفرنسية - الأمريكية» بإهدائه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، تقديرا وتعبيرا منها لحرية الشعوب، فوضع على قاعدة ارتفاعها ٤٥ مترا عند مدخل ميناء نيويورك على المحيط الأطلسى بارتفاع ٩١ مترا. وفى يوليو ١٨٨٦ (العيد القومى الأمريكى) أزيح الستار عن التمثال فى احتفال هز العالم كله [٨].

تمثال نصفى لدى لسبس (١٨٩٥) :

كانت توجد فى وسط ميدان دى لسبس حديقة من الأشجار الكثيفة أقيم فى طرفها الشمالى تمثال نصفى لدى لسبس ، ففى ١٦ يونيو ١٨٩٥ حضر جمع غفير من أهالى بور سعيد الحفل الكبير الذى أقيم فى ميدان دى لسبس لإزاحة الستار عن التمثال النصفى لدى

لسبس ، وكانت قد تكونت جمعية برئاسة السيد باخو Pacho (٩)، وقامت هذه الجمعية بجمع الأموال بغرض إقامة هذا التمثال الذى صممه المثال Mantovan، وحضرت ثلاث فرق موسيقية : اليونانية والدولية والليرة، وقد حضر هذا الحفل جميع الشخصيات الرسمية بالمدينة منها قنصلا اليونان وإيطاليا إلا إن شخصيات شركة قناة السويس لم تحضر تلك الحفلة وكذلك قنصل فرنسا. وكانت هذه المقاطعة مثار حديث أهالى بور سعيد . ويرجع السبب فى تلك المقاطعة أن شركة القناة كان فى نيتها إقامة تمثال ضخم لدى لسبس(١٠).

تمثال للملكة فيكتوريا (١٨٩٧) :

احتفلت قوات جيش الاحتلال البريطانى سنة ١٨٩٧ بإقامة تمثال الملكة فيكتوريا (١١)، وذلك بمناسبة العيد الستينى لجلوسها على العرش. وقام بتنظيم هذا الحفل اللورد كرومر (المعتمد البريطانى فى مصر) ومعه قنصل بريطانيا فى بور سعيد . وقد قاطع هذا الحفل الخديوى عباس حلمى.

وهذا التمثال عبارة عن قاعدة فى شكل أربعة أسود تصب مياها من أفواهها لتسقط بالحوض ، وكان يشرب منه المارة ، حتى عرفت عند أهالى بورسعيد القدامى باسم «سبيل فيكتوريا» وعلى نفس العمود وأعلى الأسود ذكر مناسبة هذا التمثال وسنة إزاحة الستار، ويعلو هذا العمود، تمثال للملكة فيكتوريا، وقد أقيم على رصيف الميناء المطل على شارع فرانسوا جوزيف (١٢).

تمثال دى لسبس (١٨٩٩) :

قررت الجمعية العمومية لشركة قناة السويس فى جلسة ١٨٩٧- بناء على اقتراح الأمير اوجست دارنبرج (Auguste D'Arenberg) – إقامة تمثال فى برزخ قناة السويس لفرديناند دى لسبس ، وقد تم التصويت على القروض المطلوبة ، تاركين لمجلس الإدارة اختيار النحات والموقع الذى سيقام فيه التمثال . وستقوم الباخرة Indus بنقل أعضاء مجلس الإدارة والمدعوين على هذه السفينة . وغادرت السفينة اندوس (المذكورة) ميناء مارسيليا فى ١٢ نوفمبر ١٨٩٩ (١٣).

وقد تم صنع تمثال دى لسبس من البرونز وتم تدشينه يوم ١٧ نوفمبر ١٨٩٩، بمناسبة العيد الثلاثينى لافتتاح قناة السويس للملاحة العالمية. ويبلغ ارتفاعه ٧ أمتار وينصب فوق

قاعدة تجعل ارتفاعه أكثر من عشرة أمتار، وكان ايمانويل فريميه (Fremiet)[١٤] الذى صنع هذا التمثال ، يتمنى أن يضع عند قاعدته تماثيل نصفية لأربعة خديوات مصريين متعاقبين : سعيد وإسماعيل وتوفيق وعباس، ولكن تم إثنائه عن فكرته حتى لا يغضب المصريين:، إن الرجل عظيم ولكن لايمكن وضع أربعة عواهل عند قدميه [١٥].

احتفالات إقامة التمثال (١٨٩٩) :

يعتبر هذا الاحتفال العالمى الثانى فى بورسعيد ، بعد الاحتفال العالمى الأول لافتتاح القناة عام (١٨٦٩) وقد بدأت مراسم الاحتفال العالمى الثانى فى التاسعة من صباح السبت ١٧ نوفمبر ١٨٩٩ بإزاحة الستار عن تمثال دى لسبس ، حضره الخديو عباس حلمى الثانى، الذى جاء إلى ميناء بور سعيد على اليخت المحروسة، وهو نفس اليخت الذى استقله الخديوى عند استقباله للملوك والأمراء ببور سعيد عند حفلات الافتتاح . وقد جاءت وفود الوزراء المصريين فى قطار خاص وكذلك المدعوين الأجانب من القاهرة والإسكندرية. هذا علاوة على السفن الحربية الكثيرة التابعة لفرنسا وإنجلترا وإيطاليا والدانمارك . وكان الجسر العائم (Ponton) مغطى بخيام مصرية وبأكثر من ٣٠٠٠ شخص وعمال من كل نقاط القناة ، والأطفال من كل مدارس بور سعيد اصطفوا على السقالات Gradins المدرجات) ، وكان من بين كبار المدعوين الأمير والدمان Waldeman من الدنمارك ، والغازى مختار باشا واللورد كرومر ، والوزير الإيطالى توجينى (Tugini) وسفير فرنسا بمصر Cogordan وسفير اليونان M. Oryparis والوزير الهولندى Vilbos والوزير الألمانى Muller والوزير البرتغالى Zogheb[١٦] ، كما شهد الاحتفال أسرة دى لسبس [١٧]. وقد ألقى الخديو عباس حلمى الثانى كلمته وفى ١٩ نوفمبر ١٨٩٩ وقلد عباس بيده النيشان المجيدى من الدرجة الأولى للأمير دارنبرج . وفى ٤ ديسمبر دعى الخديوى أفراد عائلة دى لسبس لتناول الغداء بسراى القبة[١٨].

هذا ويمثل التمثال دى لسبس وقد ارتدى عباءة فوق بذلته وقبض بيده اليسرى على خريطة مشروعه الضخم، وأشار بيده اليمنى إشارة كلها ثقة وكرم، كأنما يدعو كل قادم إلى الشرق عن طريق القناة بقوله : «تفضل» وقد بدت أسارير وجهه واضحة مطمئنة[١٩].

دى لسبس وفضيحة قناة باناما:

توفى دى لسبس وهو حزين بعد أن تحطم بسبب فضيحة قناة باناما ، وكان قد بلغ الرابعة والسبعين من عمره حين تم اللجوء إليه ليرأس الشركة العالمية للقناة التى تربط المحيطين

الأطلنطى بالباسيفيكى. لقد بدأ مشروع باناما انطلاقا من خطأ فنى أدى إلى سوء تقدير للميزانية، ثم تحول إلى كارثة بعد وفاة العديد من المهندسين والعمال والفنيين بعد إصابتهم بالحمى الصفراء . ولكنها كانت بالأخص فضيحة مالية وسياسية اتسمت بدفع أموال خلسة من أجل الحصول على قرض . استلزم الأمر توقف الأعمال وإعلان إفلاس الشركة، وقد أفلت دى لسبس من محكمة الجنايات ومن السجن ، على عكس ابنه شارل ادين بالفساد، ولم تعد الصحافة تهتم إلا بالأموال القذرة(٢٠).

وهكذا تحولت قناة باناما من مشروع خاص إلى فضيحة عامة (a public scandle) بعد أن قاضى المساهمون الشركة الفرنسية وعلى رأسها دى لسبس وابنه شارل وأعضاء مجلس إدارتها . وبعد أن حكم عليهم بالسجن وبغرامات فادحة ، الأمر الذى أدى إلى هرب بعضهم وانتحار البعض الآخر ، وأوقف تنفيذ الحكم على دى لسبس لكبر سنه . وواصلت الحكومة الأمريكية الأعمال بمعرفتها ابتداء من عام ١٩٠٤ فأنجزتها فى عام ١٩١٤ وافتتحت رسميا للملاحة فى ١٥ أغسطس سنة ١٩١٤ (٢١).

ويجب أن نتوقف هنا لنذكر القارئ بأن دى لسبس نجح فى مصر لأنه استعان فى حفرة قناة السويس بأيدى مصرية عن طريق السخرة ، وعندما جاء الخديو إسماعيل طلب من دى لسبس إلغاء السخرة فلجأ دى لسبس بالاتفاق مع الخديو إسماعيل- بقبول تحكيم الإمبراطور نابليون الثالث- فقضى الأخير بتاريخ ٦ يوليو ١٨٦٤ بتعويض هائل يقدمه إسماعيل لدى لسبس قدره ٣٨ مليون فرنك مقابل إلغاء السخرة فى حفر قناة السويس (٢٢). هذا المبلغ الضخم علاوة على قيام الشركة ببيع الأراضى المصرية حول القناة والترعة العذبة أعانها على إتمام المشروع .

تمثال الجنود الأستراليين والنيوزيلنديين (١٩٣٢) :

أقيم هذا التمثال لتخليد جنود هذا الجيش الذين ماتوا أثناء الدفاع عن القناة وشبه جزيرة سيناء. وهو عبارة عن تمثال يمثل جندى من الخيالة الخفيفة ، ومعه جواد ، وهو مصنوع من الرخام الأسترالى الصلب بمعرفة حفار ماهر من ذوى الشهرة العالمية . وقد وافق مجلس بلدى بورسعيد (٢٣)، على أن يقتطع جزء من حديقة واصف المطلة على الميناء. وفى ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢ تم رفع الستار عن الجنود الأستراليين والنيوزيلنديين المشتركين فى الحرب العالمية الأولى ، وأقيم بجوار حديقة كازينو بالاس ، وكانت نفقات إقامة هذا التمثال من

تبرعات جنود هاتين الدولتين تخليدا لذكرى زملائهم الذين ماتوا فى الحرب ما بين ١٩١٤ و١٩١٨ (٢٤). وحضر حفل إزاحة الستار عن التمثال المندوب السامى البريطانى « السير برس لورين» ورئيس وزراء استراليا السابق السيد / هيوز Hiouz وقائد الجيش البريطانى فى مصر ورئيس الوزراء المصرى إسماعيل صدقى باشا وسعيد ذو الفقار باشا كبير الأمناء موفدا من قبل الملك فؤاد وقناصل الدول وكثير من سكان بورسعيد (٢٥).

الأهالى فى بور سعيد يقومون بتحطيم التماثيل فى بور سعيد (١٩٥٦) :

فى أعقاب العدوان الثلاثى (الإسرائيلى البريطانى الفرنسى) عام ١٩٥٦ على بورسعيد ، قام أهالى بورسعيد بنسف تمثال دى لسبس غداة رحيل القوات المعتدية عن بورسعيد ، ونزعوا العلم البريطانى من يده ، وهو الذى وضعته القوات البريطانية قبل رحيلها ، ثم نزل التمثال يتهاوى فوق إحدى المواعين بالقناة . كذلك قام رجال المقاومة الشعبية بتحطيم تمثال الجندى المجهول بعد تحطيم تمثال دى لسبس(٢٦). ويتهكم أحد الكتاب الفرنسيين(٢٧) عن هذه الحادثة فيقول : «إن دى لسبس الذى كانت تغطيه الزهور أصبح شيطانا» . ألم يكن هذا المجرم المحاط بالسماسرة والمرابين هو «أسوأ عدو لمصر خلال القرن التاسع وفقا لتأكيد الدكتورحسين مؤنس عضو لجنة تضم أساتذة جامعيين وكتابا ومصريين (٢٨)، «كان تاريخنا خلال الـ ١٥٠ عاما الماضية هو تاريخ صراعنا ضد فرنسا وإنجلترا لم يمر عام واحد دون حدوث صراع بيننا وبين الواحدة والأخرى»(٢٩)، وعلى أى حال فإن تمثال دى لسبس يقبع الآن فى ترسانة بورسعيد البحرية ويثير أزمة ثقافية بين مصر و فرنسا .

ثانيا : حى العرب:

أنشأه العمال المصريون الذين جاءوا لبور سعيد سنة ١٨٦٢ واشتغلوا فى المهن الصغيرة كحمالين وباعة وسعاة وسقايين و«بمبوطية» والتى تعنى فى الأصل (Boat Man) أي عمال القوارب التى تعمل فى البحر للارتزاق من السفن الراسية بالميناء. وقد أخذوا هذه المهنة نقلا عن التجار اليونانيين الذين كانوا يستقلون القوارب التى تسير فى القناة البحرية الصغيرة وكانت تحمل ألونا مختلفة من الأطعمة والمشروبات والفواكه والملابس وتباع هذه الأنواع المختلفة إلى العمال الذين يعملون فى الكراكات حيث تكون فى جهات بعيدة عن المراكز الآهلة بالسكان ، وكان يتعذر عليهم أن يحصلوا على حاجياتهم بطريقة منتظمة سهلة . وكان أصحاب هذه القوارب هم بحارتها .

هذا وقد بنى الوافدون الأولون من الأهالى مساكنهم من الأخشاب والحصر ، وكان معظمهم من الفلاحين الذين لايتحدثون إلا باللغة العربية وفى الحى العربى أو قرية العرب كما كان يطلق عليها فى بادئ الأمر، كانت الشوارع ضيقة والمنازل متواضعة يبدو عليها فقر السكان ولكن تنبعث منها روح جذابة تخالف الروح المادية المنبعثة من حى الإفرنج . هنا الشرق بحركته ونشاطه وضجيجه وحواريه وحوانيته ونداءاته وأطفاله ونسائه وملابسه وألوانه ومشاكله وزحامه وحياته الشرقية الساحرة الحكيمة المملوءة فلسفة وقناعة. فهذا رجل يصلى وهذا طفل يمرح وهذه أمرأة تصرخ وتلك حوارى غير مرصوفة يغوص الأطفال فى طينها بين قانورات لانهاية لها وميكروبات خطيرة . كذلك يكثر الباعة المتجولون يبيعون الخضروات والفواكه والمثلجات . ويربط الحمالون حميرهم فى عربات «كارو» لنقل الأثاث من مكان لآخر. وفى شارع الجامع التوفيقى(٣٠) ترى الترام تجره البغال على شريط من (الدكوفيل) كرمز لأخذ الشرق بالمدينة الغربية والتطور المنظور فى هدف الحياة الفطرية الأولى لاعتناق مذهب السرعة(٣١).

وقد حدث قبل افتتاح قناة السويس (١٨٦٩) حريق هائل فى قرية العرب أدى إلى دمار كثير من العشش الخشبية الواقعة غرب المدينة وتم إعادة تخطيط قرية العرب بحيث تتكون من مربعات تفصلها شوارع وحارات بحيث تقلل من أخطار الحرائق فى حالة حدوثها (٣٢).

وكان يفصل حى العرب عن حى الإفرنجى أرض فضاء كانت تغمرها المياه فى أغلب أوقات السنة، وكان الاتصال بين الحيين يتم بواسطة فلايك . وفى سنة ١٨٨٥ أصبحت تلك المنطقة جافة تماما، وقامت شركة القناة ببيع أراضى تلك المنطقة ، وعرف هذا الفاصل فيما بعد باسم شارع محمد على ، وقام دى لسبس بتجميع أبناء جزيرة كاسوس فى منطقة واحدة عرفت «بحارة الكاشوتيه» فى جزء من شرق هذا الشارع (٣٣).

وعند حدود حى العرب تجد يافطة سوداء كتب عليها بالإنجليزية تحذير للقوات البريطانية بأن هذا هو حى العرب، وهو خارج حدود تحرك القوات البريطانية (Arab Town out of bounds) وبالفعل لم يكن لهم الحق فى التحرك داخل المنطقة غرب شارع محمد على .

التعليم فى بور سعيد:

أولا : التعليم الأجنبى :

كان للتعليم الأجنبى فى بور سعيد دوراً كبيراً فى النهضة التعليمية بها. ويمكن تقسيم أنواع المدارس الأجنبية التى قامت بالنشاط التعليمى فى بور سعيد إلى الآتى :

١- مدارس الإرساليات الدينية(٣٤)

إرسالية أخوات الراعى الصالح Soeus du bon pasteur ، وهى من أقدم المدارس وقد افتتحت فى ١٨ أغسطس ١٨٦٣ . وقد ألحق دى لسبس بها مستشفى شركة القناة فى بورسعيد والمبنى عبارة عن سكن للراهبات ومدرسة وملجأ يقبل البنات اليتيمات من أى جنسية وأي دين من ٧ إلى ١٨ سنة وتقوم تلك اليتيمات بأعمال المشغولات اليدوية والتى تعرض للبيع لصالح الأعمال الخيرية لتلك المؤسسة حيث توجد إداراتها ببلدة انجر بفرنسا(٣٥).

وقد زار الخديو إسماعيل هذه المدارس (١٨٦٩) عند زيارته لمنطقة قناة السويس . وفى سنة ١٨٧٥ بلغ عدد الموجودين بالمدرسة ٣١ فتاة ٩ نمساويات، ٥ مصريات ٩ إيطاليات ، ٤ فرنسيات ، ٣ يونانيات وألمانية واحدة) وكانت ديانتهن : ٢٧ كاثوليكية ٢ أرثوذكسية ، ومسلمة ويهودية (إسرائيلية) (٣٦). وكان منهج الدراسة معلومات أولية باللغة الفرنسية ومبادئ اللغة الالمانية والإيطالية والإنجليزية بالإضافة إلى دروس الموسيقى، والمعلومات العامة، وكان التعليم بالمجان . أما نفقات المدرسة فكانت تتكفل بها الراهبات من عملهن اليدوى والأطفال ، علاوة على معونة شهرية قدرها ١٠٠ فرنك من إدارة شركة قناة السويس .

وانشأت أيضا مدرسة دينية للبنات- غير اليتيمات - كان بها ٨ طالبات ، ٤ منهن بالداخلية و٤ بالخارجية وكانت الدراسة بها بالمجان ، وأنشأت أيضا مدرسة خارجية بالمصروفات عام ١٨٧٤ وأخرى بالمجان (٣٧).

وكان يدرس بالأولى ٣٦ طالبة وبالثانية ٨ طالبات وكانت جنسياتهن : فرنسية وإيطالية ومصرية ويونانية ونمساوية ومالطية وبولندية . أما الديانات فكانت موزعة إلى: الكاثوليكية والأرثوذكسية واليهودية . وكان يدرس فى هذه المدارس نفس المناهج التى تدرس بمدرسة الراعى الصالح الدينية للأيتام . وكانت المصاريف الدراسية تتناسب ودخل أولياء الأمور. وقد حددت المصروفات العادية بعشرين فرنكا شهريا ثم عشرة فرنكات فسبعة فخمسة(٣٨).

ومنذ أن تأسست شركة قناة السويس، كانت هناك حاجة لإنشاء مدرسة فى منطقة القناة إذ أن السكان يعرفون اللغة الفرنسية لأنها كانت لغة شركة القناة، فتقرر إنشاء مدرسة بها، وقد دخل الفرير بورسعيد فى مارس ١٨٨٧ ، وكان عددهم ثلاثة إخوة.

والتجأ الفرير إلى دير الآباء الفرنسيسكان . وقد افتتحت المدرسة فى مارس وكان ثمانية تلاميذ زادوا فى آخر السنة إلى أربعين ، وضمت الجنسيات الآتية : (١٢ فرنسيون ، ١١ يونانيون ، ١١ نمساويون، ٤ إيطاليون، ٣ مالطيون ، ٢ مصريون، ٢أتراك ، ١برتغالى)[٣٩]. ثم افتتح المدير فصولا مجانية لأبناء العمال، وبعد مدة أصبح العدد ٦٧ بالمجان ، ٦٥ بالمصروفات ولما ضاق المكان بالتلاميذ اتفق المدير مع شركة القناة بالاشتراك مع الحكومة المصرية فى ٢٠ فبراير ١٨٨٩ ، بأخذ قطعة من أرض مساحتها ٤٧٠٠م على شارع أوجينى لبناء المدرسة، وتم البناء فى سبتمبر ١٨٩٠ وسميت College Saint Marie وكانت تدرس فيها اللغة الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والعربية ومبادئ تجارية . وفى عام ١٨٩١ ابتدأت فصول ليلية للتلاميذ الذين يرغبون فى تحسين لغتهم الفرنسية.

وإبان الحرب العالمية الأولى غادر ستة من الإخوة المدرسة وألقيت عليها القنابل ، ثم عادت إلى نشاطها السابق بعد الحرب، وقد زارها الملك فؤاد عام ١٩٢٤ ، ومنح جائزة للمتفوقين بها[٤٠]. هذا ويلاحظ أن المدارس الأجنبية كانت محل عطف ورعاية كل من الخديو سعيد وإسماعيل ومن جاء بعدهم، مما دفع الراهبات للتقدم لاسماعيل سنة ١٨٧٧ بطلب يلتمسن فيه منحهن نصيبا من الحنطة وقد أنشئ هذا الملجأ في النصف الأول من السبعينات [٤١].

وتقدمن للحكومة المصرية سنة ١٨٨٠ للإنفاق منها على الدير الذى أنشأن ببورسعيد لدراسة اللاهوت، وكانت شركة قناة السويس قد منحتهن حوالى ١٠٠٠ فرنك ، وطالبن بأن يكون تحت إشراف الحكومة . وكانت شركة قناة السويس قد طلبت بأن تكون المدرسة تابعة لها نظير دفعها ٥٠ فرنكا شهريا للمساهمة فى نفقاتها . فقد قبلت الحكومة المصرية دفع منحة لهن بشرط إشرافها وحدها عليها [٤٢]. وكانت محافظة بورسعيد قد طلبت من ديوان المدارس إلحاق يتيمين أوربيين ببورسعيد بإحدى المدارس الأميرية التابعة للديوان حتى ينالا حظا من التعليم مساعدة لهما وإحسانا من الخديو [٤٣]. كما أقيمت مدرسة دينية كاثوليكية باسم «مدرسة الأرض المقدسة الكاثوليكية» Ecole Catholique de la Terre Sainte.

وكان يقوم بالتدريس فيها : اثنان من إخوة الرحمة وكان بها ٧٦ كلهم من البنين كانوا كالآتى: ٢٧ إيطاليا، ١٩ فرنسيا، ١٣ نمساويا ، ٦ يونانيين، ٤ مالطين، ٤ عرب (شوام) ، ٣ أتراك ، ١ يهودى.

وكانت مناهج الدراسة تشمل تعليم اللغات الفرنسية والايطالية ومواد الجغرافيا والحساب الذى يدرس من واقع الكتب والتاريخ المقدس والقراءة والخط والرسم والتاريخ الدينى (الكتسى) والتاريخ [٤٤].

٢- مدارس الجاليات الأجنبية:

أ- مدارس الجالية اليونانية:

كان لتدفق اليونانيين على منطقة قناة السويس- كما سبق الإشارة- وبالأخص مدينة بورسعيد تصحبهم أسرهم ، ولذلك أقام لهم دي لسبس كنيسة فى بورسعيد ومدرسة أيضا لتعليم أبنائهم بها، وقام بتعيين مدرس يونانى لتعليم صغارهم، كل ذلك على نفقة الشركة وكانت هذه الجالية متضامنة، وبفضل الإيرادات التى أتى بها بيع الشموع فى الكنيسة ومن الرسوم التى دفعها التلاميذ ، كونوا صندوقا لمواجهة متطلبات إنشاء المدرسة والكنيسة.

وفى سنة ١٨٦٦ تنازل دي لسبس عن الأرض التى بنيت عليها مدرسة البنات والبنين التى أقيمت لأبناء الجالية اليونانية وذلك عرفانا لما قاموا به من أعمال للشركة وتملكتها الجالية اليونانية بالفعل (٤٥).

وكان الغرض من التعليم اليونانى فى مصر، هو تعليم اليونانيين اللغة اليونانية والاحتفاظ بثقافة وعادات اليونانيين ، مع تزويدهم بما يؤهلهم للحياة فى مصر(٤٦) .

ب- مدرسة للجالية الإيطالية:

قامت الجالية الإيطالية بتأسيس مدرسة لها ببورسعيد سنة ١٨٨٩ (٤٧). وقد حظيت هذه المدرسة بمساعدة وتشجيع الحكومة المصرية. كذلك أمدتها جمعية المعارف اليونانية ببورسعيد بالكتب اللازمة لتدريس أبناء الجالية اللغة العربية(٤٨).

٣- المدارس الخاصة:

قامت الجاليات بإنشاء مدارس خاصة على نفقتهم، وقام بهذا العمل أفراد من رجال الأعمال والتعليم، نتيجة لازدياد أعداد الجاليات الأجنبية فى مصر ، أدى إلى التوسع فى إنشاء المدارس على اختلاف أنواعها لتسد الحاجة ، وكانت المدارس الأجنبية على علاقة طيبة بالسلطات المصرية ، فقد نصب إسماعيل أكبر أبنائه وولى عهده توفيق باشا راعيا للمدارس الحرة المجانية ، وكان يبعث بابنه إبراهيم باشا من وقت لآخر لشهود حفلات توزيع الجوائز فى بعض المدارس الأجنبية . كما شهد ببورسعيد نشأة المدارس الأجنبية العلمانية للبنين والبنات، فقد تم إنشاء المدرسة العلمانية الحديثة للبنين Ecole Laigue pour Garcon فى سنة ١٨٧٣(٤٩) وكان بها ٣٧ طالبا: ٨ إيطاليين، ٨ عرب ، ٧ نمساويين ، ٥ فرنسيين ، ٣

يونانيين، ٢ مـالطيين، وكـانت بياناتهم كـالآتى : ٣، كـاثوليك ، ٧ مـسلمين، ٣ أرثوذكس (يونانيين) وكانت الدراسة تشمل الآتى : القراءة والخط والجغرافيا والحساب بالإضافة إلى اللغات: الإنجليزية والفرنسية والإيطالية، وكانت الدراسة مجانية .

أما إيراداتها فكانت تبلغ حوالى ٦٠٠٠ فرنكا كانت تأتى كلها من المحفل الماسونى عن طريق الاكتتاب الاختيارى (التبرعات)(٥٠). ويذكر البعض أن هناك مدرسة خاصة داخلية للبنات أنشأتها مدام/ شاليه Madame Challet وقد افتتحت أبوابها للدراسة فى عام ١٨٧٣ . وتم فى نفس العام وبفضل جهود ومبادرة من إحدى اللجان التى تكونت برئاسة السيد/ باكير Baker(٥١)، والسيد / باريازا (Barbaza) (٥٢). والدكتور /كوفيدو Couvidou ، والسيد / لويزيديه Loisides (تاجر) ، والسيد / مانش Manche(٥٣)، والسيد / ستافلر Stuffler(٥٤) والذى قام بجمع الاشتراكات . وأنشئت المدرسة الابتدائية المجانية تحت رعاية الأمير ولى عهد مصر، وهى تشبه مثيلتها فى الإسكندرية والتحق بها عدد كبير من الأطفال الفرنسيين والإيطاليين وكانت هذه المدرسة تقع قبالة لوكاندة سميراميس ، وكانت الدراسة باللغة الفرنسية وبلغ عدد الطلبة فيها سنة ١٨٧٥ خمسة وأربعين تلميذا ، وكان يدير المدرسة إيطالى يدعى أولدرينى Oldrini . وفى عام ١٨٧٦ تم إعداد يانصيب لصالح هذه المدرسة بواسطة لجنة مكونة من زوجات رجال الأعمال(٥٥).

وحين أتم التلاميذ الدورة الدراسية بهذه المدرسة وحصلوا على درجات جيدة، أتاح لهم ذلك الفوز بوظائف جيدة. وبعد عشر سنوات من هذا التاريخ لم تعد هذه المدرسة قائمة، فقد كانت هذه المدرسة قد شيدت بمبادرة من الماسونية والتى افتتحت محفلها الماسونى فى بورسعيد فى الخامس من نوفمبر سنة ١٨٧٨ (٥٦). وهناك مدرسة أخرى علمانية للبنات اسمها: «المدرسة العلمانية الحديثة» Ecole laigue Des Jeunnes Filles وقد أنشئت عام ١٨٧٥ ، وبلغ عدد الطالبات بها ٣٢ طالبة جميعهن بالخارجية وكانت مواد الدراسة هى التى تدرس فى التعليم الابتدائى بالإضافة إلى اللغة الفرنسية والحساب والجغرافيا والتاريخ العام والموسيقى وفن الخياطة والدراسة بمصروفات كانت تتراوح بين ٦ و ١٥ فرنكا شهريا .

ومن هنا يتضح أن مدينة بورسيعد قد تميزت بانتشار التعليم العلمانى فيها ، كما يتضح أن مجموع الطالبات بهذه المدارس جميعا كان يفوق عدد الطلبة بها (٥٧). كما يلاحظ قلة عدد الطلبة المصريين إلى حد كبير ، فمن بين مجموع الطلاب وعددهم ٢٢٨ كان عدد الطلبة العرب

٢٤ فقط أى بنسبة تزيد قليلا عن ١٠٪ من مجموع الطلاب، منهم سبعة من المسلمين ، وكان نصف هؤلاء الطلبة من البنين والنصف الآخر من البنات .

كما نلاحظ أن نصف هؤلاء الطلبة العرب كانوا من غير المصريين، والأغلب أنهم كانوا من الشوام . وبالنسبة للمصريين فإننا نلاحظ أنهم جميعا من الطالبات ، وكان من بينهن طالبتان مسلمتان فقط . أى أن عدد الطالبات المصريات كان لايتجاوز ٥٪ من عدد الطلبة الأجانب ببورسعيد . ويرجع ذلك إلى أن الدراسة بهذه المدارس كانت باللغات الأجنبية فضلا عن أن الطلبة ملزمون بالتكلم بها طوال نهارهم مع أساتذتهم أو فيما بينهم، حتى بلغت نسبة الطلبة الذين يتلقون علومهم بالفرنسية حوالى ٥٥ ٪ من مجموع الطلبة فى مصر. أضف إلى ذلك أن أحوال الوطنيين الاقتصادية بالمدينة لم تكن تمكنهم من دفع المصاريف المطلوبة بهذه المدارس، فقد كان معظمهم من العاملين فى حمل الفحم وبأجور زهيدة يتقاسمها معهم شيخ الطائفة(٥٩).

وفى عام ١٨٧٨ أنشئت مدرسة أخرى للبنات بفضل جهود الأخوات جوان Jouane والأنسة / روز Rose التى تحمل دبلوم الثانوية العليا تعاونهم الأخت تريز (Therese) وكانت كريمتا أحد رواد بورسعيد من اللاجئين السياسيين فى الجزائر ، وقد وصل مصر بدعوة من دى لسبس . ودامت مدرسة إخوان جوان هذه ما يقرب من عشرين عاما. وكان موقع هذه المدرسة مكان مطافئ بورسعيد حاليا. ومن بين المدارس الحرة التى وجدت ببورسعيد – قبيل الحرب العالمية الأولى– نجد مدرسة مدام تيسيه (Teisser) والتى يصعب تجميع بيانات دقيقة عنها، لأن البيانات المتاحة متناقضة .

ففى أيام عمرها الأولى ضمت بورسعيد مدارس رياضية كان يشرف على تنظيمها وإدارتها فرنسيون وإيطاليون لم تمكث فترة طويلة نذكر منها : صالة رماية أسلحة ، وكان يديرها بروفيسور كورفيزيه (Corvisier) مدرس وأستاذ سلاح الرماية . ومدرسة أخرى للسلاح أنشئت عام ١٩٢٥ على يد السيد / لينون Linon(٦٠) وتحت إشراف أستاذ السلاح E. Janse(٦١).

ثانيا : التعليم الوطنى فى بورسعيد:

استمرت مدينة بورسعيد بدون مدرسة أميرية حتى نهاية الثمانينات ، فقد تأسست أول مدرسة تابعة للحكومة ببورسعيد سنة ١٨٨٩م(٦٢) وقد أدى عدم انتشار التعليم الوطنى

ببورسعيد إلى انتشار الجهل بين الأهالى مما تسبب عنه ظهور طائفة العرضحالجية، وقد قام هؤلاء بانتخاب شيخ عليهم يعرف بشيخ الكتبة أو العرضحالجية . كما أدت كثرة الأجانب إلى الحاجة لوجود تراجمة لإيجاد تفاهم مشترك بين كل من الأجانب والإدارة المصرية والأهالى فظهرت طائفة التراجمة(٦٣).

واقتصر التعليم الوطنى لأبناء بورسعيد على الكتاتيب فقط، ويبدو أن نطاقه قد انحصر فى قرية العرب ببورسعيد حيث انتشر السكان الوطنيين .

وقد ظلت الكتاتيب كما كانت من قرون معاهد التعليم الأولى فى البلاد حيث القرآن الكريم أساس للتعليم بالإضافة إلى تعليم الصبية القراءة والكتابة. ورغم قصورها فقد وفرت جانبًا كبيرًا من حاجة الأمة إلى التعليم .

وقد وجدت فى بورسعيد فى أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن التاسع عشر وذلك لأن وجود الكتاتيب يرتبط ارتباطًا وثيقًا بوجود العلماء أو الفقهاء أو المعلمين الذين يقومون بمهمة التعليم فيها. وكان يوجد فى بورسعيد ١٨ عالمًا وفقيها وغيرهم من المشايخ فى منتصف سنة ١٨٧٢ . وقد ارتفع عددهم فى منتصف ١٨٧٨ إلى ٣٣ شخصًا وقد باشروا مهمتهم فى تعليم الصبية من أبناء العرب ببورسعيد . وكان يوجد ثمانية مكاتب لتحفيظ القرآن الكريم ببورسعيد سنة ١٨٧٧ ، وكان بها ٧٧ بما فيهم عدد المعلمين أنفسهم(٦٤).

وهذه الكتاتيب يمكن أن نطلق عليها اسم (كتاتيب المدن) طبقا للائحة رجب ١٢٨٤ والتى كان يكتفى بها تعليم القرآن الكريم والقراءة والكتابة ثم أضيف إليها مادة الحساب قصرته على «باب العدية» أى الأعداد وكان ذلك أهم تجديد فى الكتاتيب . كما قررت اللائحة أن يكتفى فيها بالمؤدبين والعرفاء. على أن يكون تعينهم من اختصاص ديوان المدارس بالمشاركة مع العمداء وعمد الجهة . وليس هناك ما يؤكد تدخل ديوان المدارس فى تعيين الفقهاء والعرفاء بهذه الكتاتيب ، مما يعنى أن اختيارهم كان قاصراً على العلماء فى بورسعيد ، ويبدو أن ذلك استمر حتى سنة ١٨٧٨ م على الأقل على الرغم من صدور دكرتو فى ١٨٦٩ يجعل كل كتاتيب القطر تحت تفتيش وملاحظة نظارة المعارف العمومية وزاد عدد الكتاتيب فى بورسعيد إلى تسعة مكاتب سنة ١٨٧٨ وكان يدرس بها ٣١٠ تلاميذ وهذا يعنى أن هناك إقبالا من الوطنيين ببورسعيد على تعليم أبنائهم فى هذه المكاتب لعدم وجود مدارس أميرية ولعجزهم عن تعليم أبنائهم بالمدارس الأجنبية بالمدينة أو الرغبة فى تعليم أبنائهم القرآن الكريم(٦٥).

كما يتضح أن متوسطة عدد التلاميذ بكل مكتب من مكاتب بورسعيد يزيد على ٢٤ تلميذا ، فإذا كان السكان العرب بها ٣٨٥٤ شخصا فإن متوسط عدد الأهالى للمكتب الواحد ٤٢٨ شخصا ويكون عدد التلاميذ من كل ألف شخص ببورسعيد . ورغم حداثة بورسعيد فإننا نلاحظ تفوقها فى نسبة التلاميذ الذين يتعلمون فى الكتاتيب عنها فى سائر البلاد. فمثلا بلغت النسبة فى القاهرة ٢٦ فى الألف وأيضا فى الإسكندرية ٢٦ فى الألف و١١ فى الألف فى مديرية قنا.

ويمكن ترتيب المحافظات والمديريات بنسبة انتشار التعليم فيها وفق الجدول التالى(٦٦):

المحافظات والمديريات	النسبة
بورسعيد	٨٠ فى الألف
الإسماعيلية	٧٥ فى الألف
السويس	٥٢ فى الألف
دمياط	٤٢ فى الألف
المنوفية	٣٥ فى الألف
الغربية	٣٤ فى الألف
الشرقية	٣٢ فى الألف
البحيرة	٢٧ فى الألف
القليوبية	٢٧ فى الألف
القاهرة	٢٦ فى الألف
الإسكندرية	٢٦ فى الألف
الدقهلية	٢٦ فى الألف
بنى سويف	٢٥ فى الألف
جرجا	٢١ فى الألف
الجيزة	٢٠ فى الألف
أسيوط	١٩ فى الألف
إسنا	١٨ فى الألف

وفى مطلع القرن العشرين (١٩ يونيو ١٩٠١) تم الاحتفال بوضع حجر الأساس لمدرسة الواصفية ببورسعيد بحضور محافظ بورسعيد[٦٨] وتولت الجمعية الخيرية الإسلامية الصرف عليها وهى مدرسة ثانوية وتهدمت هذه المدرسة فى مارس ١٩٩٧ [٦٩].

محو أمية الجنود وضباط الصف ببورسعيد :

فى سبتمبر ١٨٧٠ صدر أمر كريم إلى ديوان الجهادية بعدم ترقيه الضباط الصف الذين يجرى امتحاناتهم لترقيتهم إلا بعد التأكد من معرفتهم القراءة والكتابة.

وتنفيذا لهذا الأمر فقد صدر أمر ناظر الجهادية فى أواخر ديسمبر ١٨٧٢ بضرورة تعليم جميع العساكر بالمحافظة من مستحفظين وبوليس وعساكر الطلمبة القراءة والكتابة، وكان رؤساء العساكر هم الذين يقومون بهذا العمل كما تم توزيع بعض الكتب الهجائية على بعض هؤلاء العساكر.

وكان الخديو يهدف إلى تقدم أفراد وصفوف العساكر فى هذا التعليم . ولم يقتصر تعليم العساكر اللغة العربية قراءة وكتابة فقط بل شمل أيضا تعليم الجاوشية البلدية أبناء العرب ببورسعيد اللغة الإيطالية من كتاب مترجم عن اللغة الإيطالية باسم (النخبة الترجمانية فى اللغة التليانية) وقد اتضح أن عدد هؤلاء الجاويشية ٣٢ شخصا منهم ٦ فقط يجيدون القراءة والكتابة و٨ لهم إلمام بها والباقون أميون [٧٠]. وهذا التعليم وهو (محو الأمية للجنود والشرطة) مازال معمولا به حتى الآن.

طائفة أهل العلم :

ارتبط ظهور مكاتب تعليم القرآن الكريم ببورسعيد بوجود العلماء وإقامتهم بها، كما أدى إلى ظهور طائفة خاصة بهم هى «طائفة أهل العلم الشريف وحملة القرآن الحنيف». بل وتعددت الطرق الخاصة بهم. وقد قاموا بانتخاب الشيخ أبى الحسن[٧١] شيخا على طائفة أهل العلم الشريف وحملة القرآن الكريم . وقد صدقت المحافظة على انتخابه لأهليته وصلاحيته ولياقته بهذه الوظيفة[٧٢].

كذلك نجد أن الخديو إسماعيل قد أمر بربط ٧٠٠ قرش بالأوقاف لوظيفة معلم اللغة العربية بمدرسة الأوروبيين ببورسعيد ، وأمر بشراء كتب أجرومية قدرى بك للمدارس اليونانية ببورسعيد[٧٣].

فى أعقاب الاحتلال الإنجليزى لمصر ..

الدعوة لتعلم الإنجليزية ونبذ اللغة الفرنسية :

فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كانت اللغة الإيطالية هى اللغة الأوربية الأولى ذات النفوذ فى مصر ، وبعد الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ وانفتاح مصر على أوروبا وإرسال البعثات لفرنسا نمت اللغة الفرنسية وتراجعت أمامها اللغة الإيطالية وفقدت الثقافة الإيطالية مكانتها فى مصر وحلت محلها الثقافة الفرنسية . وبعد الاحتلال البريطانى لمصر ١٨٨٢ كانت هناك دعوة لتعلم اللغة الإنجليزية ونبذ اللغة الفرنسية، وقد قامت سلطات الاحتلال البريطانى بإنشاء ثمانية عشر مدرسة إنجليزية بمصر فى كل من القاهرة والإسكندرية وبورسعيد والسويس(٧٤).

وعلى الرغم من محاولات سلطات الاحتلال البريطانى إحلال الثقافة الإنجليزية محل الثقافة الفرنسية فإنه لم يستطع أن يقف أمام التعليم الفرنسى فى مصر ، فقد كانت اللغة الفرنسية معروفة فى الأوساط العالية والطبقة الوسطى أيضا، وكانت اللغة الفرنسية رئيسية فى المدارس الإيطالية والفرنسية واليهودية بأعداد مدارسها الكبيرة ، بينما اقتصرت اللغة الإنجليزية على المدارس الأمريكية والإنجليزية فقط(٧٥).

ونجد صحيفة المقطم(٧٦) تندد باللغة الفرنسية ، مستشهدة بأن أهل القطر المصرى وغيره من الأقطار الشرقية من أقاصى الهند واليابان راغبون فى تعلم اللغة الإنجليزية لأنها على حد قولها «لغة أوسع الأمم تجارة وأرقاهم علما وتمدنا وأكثرهم عددا» وتستطرد الصحيفة بقولها «إن الصحف المتفرنسة تندد بنظارة المعارف لأنها زادت عدد معلمى اللغة الإنجليزية، ولو نظرت هذه الجرائد فى حقيقة هذه الزيادة وبينت أسبابها وأثبتت أنها تفوق المطلوب لوجب لها الشكر»(٧٧).

كما تدعو الصحيفة الشعب المصرى إلى إتقان اللغة الإنجليزية بعد أن تقرر أن تكون من جملة اللغات الرسمية التى يترافع بها فى المحاكم المختلطة . وأكدت الصحيفة «أن اللغة الإنجليزية قد انتشرت سريعا فى هذا القطر حتى لقد عنى أكثر أبناء الأعيان بتعلمها وصارت مما لايستغنى عنه فريق كبير من المصريين . وإذا دامت الحال على هذا المنوال فلا تمضى بضع سنين حتى تعم، لذلك فالحكيم من استعد للانتفاع بها قبل أن يسبقه غيره إلى منافعها(٧٨).

وعلى أية حال فقد تعاظم التغلغل الثقافى الأجنبى فى بور سعيد ونشط من خلال الحركات النشطة للجمعيات التبشيرية الأجنبية- التى حرصت كما رأينا على افتتاح العديد من المدارس التى توفر تعليما يسير على نهج البلدان الأجنبية التى تنتمى إليها هذه الجمعيات. وتعتبر فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية أهم البلدان التى وفدت منها الجمعيات التبشيرية، علاوة على مدارس الأقليات الأجنبية والمدارس الخاصة أيضا.

ولم يقتصر الأمر على التوسع فى إنشاء المدارس الأجنبية وإنما تجاوز ذلك إلى فرض محتوى تعليمى يؤكد تبعية من يمثلونه من الطلاب للثقافة الأجنبية ، ويترتب على ذلك إضعاف روح الانتماء إلى الوطن وإضعاف الوعى بالهوية المتميزة لشعبنا فكان التعليم فى المدارس الفرنسية فيما بين الحربين العالميتين نسخة مطابقة للتعليم الفرنسى، وأن جميع التلاميذ فى هذه المدارس أجانب وسوريين ولبنانيين كانوا يعرفون بشكل جيد شارلمان وجان دارك ولويس الرابع عشر ، فى الوقت الذى يجهلون فيه أبسط المعلومات عن هارون الرشيد أو رمسيس الثانى. وفى كتب التاريخ التى كانوا يدرسونها ، يتعلمون أن سكان بلاد الغال هم أجدادهم(٨٠).

ولم يهمل الإنجليز أيضا الممارسات الثقافية الرامية إلى تأكيد هيمنتهم فقد طبعوا مدارس التعليم الحديث بطابع الثقافة الأنجلو سكسونية وجعلوا لغة التعليم فى مدارس مصر الحكومية هى اللغة الإنجليزية ، ليكونوا طبقة من المتعلمين تفكر كما يفكرون ويحققون من خلالهم مصالحهم السياسية ، وفى مقابل ذلك مارس الفرنسيون هيمنتهم الثقافية بفضل مدارسهم التى تزايد أعدادها وتطابقت مناهجها مع المدارس الفرنسية.

وهكذا أصبح التعليم فى المدارس الحديثة التى تديرها الدولة وتلك التى تخضع للجاليات الأجنبية أداة غزو ثقافى تعمل على تأكيد الانتماء للغرب ومن ثم قبول هيمنته على مقدرات شعبنا(٨١).

زوال التعليم الأجنبى (١٩٥٦)

تعرضت بورسعيد لعدوان سافر فى عام ١٩٥٦ وهو العدوان الثلاثى (إنجلترا وفرنسا وإسرائيل) وكان ذلك إيذانا بالقضاء على التعليم الأجنبى فى مصر، ويعترف أحد الكتاب الفرنسيين المعاصرين بقوله «كانت كارثة للنفوذ الثقافى الفرنسى، فقد تم الاستيلاء على

المنشآت الست الخاصة بالبعثة العلمانية التى كانت تعلم عشرة آلاف و ٥٥٠ تلميذا سنويا . وتحولت مدارس الليسيه إلى مدارس «الحرية» مثلما تحولت كليات فيكتوريا الإنجليزية إلى مدارس «النصر» وحرمت هذه المدارس من مدرسيها الفرنسيين وأصبحت تابعة للجنة حكومية(٨٢).

«فى ساعة واحدة يوم ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ فقدت فرنسا نفوذا نسجته بأناة خلال قرن ونصف». وعلى ضفاف النيل أصبح اسمها موضع سخرية وتقوضت حظوتها »(٨٣).

ويمثل القانون رقم ١٦٠ ولائحته التنفيذية الصادرة فى ١٧ مارس ١٩٥٩ نهاية التعليم الأجنبى فى مصر بشكل عملى.

الصحافة فى بورسعيد :

أولا- الصحافة الأجنبية:

جانب آخر من النشاط الثقافى تمثل فى الصحافة الأجنبية فى بورسعيد : الفرنسية واليونانية والإيطالية ، وقد شملت مواد إخبارية وتجارية وإعلاميه وفنية وسياسية وأدبية . وكانت غالبية الصحف الفرنسية نذكر منها:

١- صحيفة Le Journal du Canal وصدرت عام ١٨٦٧ وطبعت فى بورسعيد وكانت تدافع عن مشروع دى لسبس ضد الهجمات التى تشنها الصحافة الإنجليزية على مشروع القناة وكان يديرها الأب مول Le Pere Moll. وذاع صيت هذه الصحيفة فكانت تنشر وتقرأ فى العالم أجمع(٨٤).

٢- صحيفة Journal de Port- Said وقد أصدرها ج باربير J. Barbier سنة ١٨٧٠ ، وهى صحيفة أسبوعية من أربع صفحات بحجم متوسط، وقد أوقفت بناء على أمر الحكومة المصرية فى أواخر فبراير ١٨٧٢ بسبب بعض المقالات السياسية(٨٥).

٣- صحيفة Le Moniteur de Port- Said وقد أصدرها نفس الناشر : ج باربيه وصدرت فى ٢٩ فبراير عام ١٨٧٢ (٨٦).

٤- صحيفة L' Avenir Commerciale de Port - Said : (أى المستقبل التجارى لبورسعيد) وقد أصدرها أ. رو E. Roux فى ٢٧ يونيو ١٨٧٣ وظلت تصدر حتى عام ١٨٧٤م(٨٧).

وقد نشرت هذه الصحيفة نقدا لاذعا للحكومة المصرية إزاء عدم اهتمامها بتعليم المصريين وانتشار الجهل بين أفراد الشعب فى عددها الصادر فى ٢٨ نوفمبر ١٨٧٤ وأن من واجب الحكومة تنوير الأهالى عن طريق العلم والأدب لمعاونتهم كى يتعاونوا فيما بينهم والوفاء لهم بما يلزم فى هذه الحياة من الحق والحرية ، فقد كان ذلك مطمح العقول السليمة من الحكام على مر العصور، مما أدى إلى تأسيس جمعيات خيرية ومؤسسات كان من نتائجها ظهور شخصيات شهيرة ونشأة حكومات قوية وظهور أمم خلد التاريخ ذكراها، وأنه بانتشار العلم والأدب والعدل فى الأمم تتهذب الأخلاق وتزداد الثروة وتسعد الشعوب .

وقد حاولت جريدة الوقائع المصرية الرد على ذلك فأشارت إلى جهود الحكومة المصرية للتصدى للجهل وأنها تسعى لتعميم التعليم بالديار المصرية(٨٨).

٥- جريدة Le Courrier du Port - Said (أى رسالة بورسعيد) وقد أصدرها كل من ماريوس بيريير ، ج. سيرييير Marius Perrier & J. Serrier وقد صدرت فى نوفمبر وظلت تصدر حتى عام ١٨٧٧(٨٩) وهذه الجريدة شبيهة بجريدة لافونيير التى كان يحررها إميل روكس وقد تعهد السيد موريس من تلقاء نفسه بالامتثال لقانون المطبوعات . وبناء عليه فقد أصدرت الخارجية ترخيصا له بإنشاء المطبعة والجريدة المذكورة ببورسعيد(٩٠).

وقد اهتمت هذه الجريدة بالشئون التجارية والبحرية، وقد انتقدت الأوضاع فى مدينة بورسعيد وبالأخص الأمور الصحية عندما وجهت اللوم لمستخدمى جمرك بورسعيد الذين يلقون المياه القذرة والقانورات من الدور الأعلى بالشارع الخلفى والشوارع المحيطة بمبنى الجمرك مما يسبب روائح كريهة وعفونات مضرة بالصحة . ونتيجة لهذا النقد طلبت المحافظة من أمين الجمرك وقف ذلك لمنع نشر مثل هذه الأمور بالجريدة وكانت هذه الجريدة الأكثر انتشارًا فى بورسعيد وقامت هذه الجريدة أيضا بإصدار كتاب بعنوان «رحلة عبر البرزخ» من تأليف كوفيدو H. Couvidou سنة ١٨٧٥ (٩١).

٦- جريدة لاجور سيروانس ، وقد صدرت عام ١٨٧٦ عن نفس الجريدة السابقة وكان يتولى إصدارها جاك سيرييير الفرنسى Jacques Serriere وقد تخصصت هذه الجريدة بالإعلانات الخاصة بمحكمة الإسماعيلية المختلطة ومحكمة الاستئناف المختلطة بالإسكندرية(٩٢).

٧- جريدة البسفور إجيبسيان Le Bosphore Egyptien أصدرها ج. سيريير J. Serri-er فقد صدرت فى ٤ مارس ١٨٧٨ وكانت أسبوعية ومخصصة لنشر المواد التجارية الأنبية والحوادث الأجنبية فقط وقد ذاعت هذه الجريدة وانتشرت خارج حدود مدينة بورسعيد ووصلت إلى القاهرة وأصبحت هذه الجريدة المحلية التى تصدر فى بورسعيد معروفة، مما دعا صاحبها ومحررها إلى أن يجعل اسمها «البسفور المصرى» وكان ذلك سنة ١٨٨٠ (٩٣).

وقد اكتسبت هذه الجريدة شهرة وشعبية فى القاهرة وبورسعيد ونتيجة لذلك طلب صاحب الجريدة التصريح له بمعالجة الشئون السياسية والإدارة على صفحات الجريدة وقد أجيب لطلبه بشرط مراعاة القوانين الخاصة بالصحافة والطباعة فى مصر فيما ينشره من مواد سياسية وغيرها . وبدأت فى ذلك اعتبارا من يناير ١٨٨١ . وأدى ذلك إلى الارتفاع بشهرتها مما دعى سيريير إلى الإقامة بالقاهرة بمساعدة أصدقائه ، وأصبحت جريدة البسفور المصرى جريدة يومية بدلا من أسبوعية وأحدثت قدرا كبيرا من الضجة . وقد قام جيرود Giraud - محامى مدير الجريدة- بنشر عدد من المقالات المدوية ، حتى أصبح سكان القاهرة سواء من الأوروبيين أو الوطنيين من عشاقها أو من المفتونين بها، حتى أنهم قاموا بحمل جيرود على الاعناق فى شوارع الأزبكية فى أحد الأيام(٩٤) وكانت مقاومة الخديو إسماعيل لصحف الرأى الفرنسية غير مجدية، فكان إذا أقدم على إلغاء صحيفة سرعان ما تظهر أخرى غيرها فى الميدان وذلك لما كان لها من امتيازات تكفل لها الحماية سواء فى الإنذار أو التعطيل أو الإغلاق النهائى وأجمعت الصحف الفرنسية على تشييع إسماعيل- بعد عزله - أسوأ تشييع وكانت تعبر بذلك عن رأى حكومتها فى إسماعيل . وفى عهد توفيق استمرت الصحف الفرنسية فى الظهور والازدياد كما استمر سيريير فى جهوده فى إنشاء صحف جديدة بالإضافة إلى الصحف السابقة فأنشأ صحيفة سياسية هى :

٨- صحيفة بورسعيد جورنال Port - Said Journal لتحل محل جريدة البسفور المصرى التى صدر الأمر بتعطيلها لعيبها فى ذات أحد الولاة الأصدقاء . ولقد صدر العدد الأول فى ٧ أبريل سنة ١٨٨١ (٩٥). وبعد عام ١٨٨٠ ظهرت صحف كان يديرها بعض المالطيين والإيطاليين(٩٦).

٩- جريدة الفنار Le Phare والتى صدرت عام ١٨٨٩ ونشرت نعى أقدم بورسعيدى يمتلك فندق باريس الكبرى(٩٧).

الصحافة اليونانية :

مجلة بروجريه Le Progres الأسبوعية وكانت تصدر باللغة اليونانية وقد توقفت فترة من الوقت ثم عادت إلى الظهور مرة ثانية . وكانت تخصص الصفحتين الأولى والثانية للتحرير باللغة الفرنسية ، أما الصفحتان الثالثة والرابعة فكان التحرير بهما باللغة اليونانية ، ثم انتقلت فيما بعد إلى القاهرة ، وكانت تجارية أدبية ولنشر الإعلانات وكان يديرها لازاريدس Lazarides (٩٨).

الصحافة الإيطالية :

تقدم مأمور قنصلية إيطاليا ببورسعيد فى ديسمبر ١٨٦٧ بطلب إلى محافظة بورسعيد برغبة أحد الإيطاليين ويدعى موفتليين الترخيص له بإنشاء جريدة إيطالية تحمل اسم «الموستيك» وأن تكون أسبوعية تختص بنشر الأخبار والشئون التجارية وقد أحيل الأمر إلى محافظ عموم القناة للتحرير للخارجية التى رأت ضرورة مخابرة قنصل عام إيطاليا فى ذلك. وقد شرع الإيطالى فى إجراءات نشر الجريدة. والصحافة الايطالية فى هذه الفترة لم يكتب لها الازدهار والانتشار، ولم تشهد بورسعيد سوى ظهور صحيفة إيطالية واحدة(٩٩).

الصحافة الوطنية فى بورسعيد :

صدرت أول جريدة مصرية فى بورسعيد عام ١٩١٠ وهى جريدة المؤدب كانت تتابع الأخبار والقضايا المحلية، وأفردت صفحات للثقافة والأدب، وتم إنشاء ثلاث مكتبات عامة بالإضافة إلى مكتبات خاصة كان صاحبها ينظم الاستعارة فيها مقابل اشتراكات زهيدة وهو محمد أبو النور الذى أنشأ فى الثلاثينات جريدة «المستقبل» ودار نشر تحمل نفس الاسم(١٠٠).

كذلك قامت مجموعة من المثقفين بإصدار نشرة دورية هى «الانتصار» إبان العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ على بورسعيد ، فكانت هذه النشرة الدورية عاملا هاما فى كسر العزلة الإعلامية، وتضمنت مقالاتها تحليلا لأبعاد المعركة ومتابعة الأخبار، كما تضمنت إرشادات للتوعية وكشف حيل وأساليب العدو، وتوجيهات إلى أبناء المدينة بالإضافة إلى أشعار تحريضية مباشرة وبسيطة ، وظهرت أغانى السمسية التى لعبت دورا هاما فى تلك الفترة فى تعبئة الناس بتعبيرها التلقائى ضد الاحتلال (١٠١).

مراكز أخرى للأنشطة الثقافية فى بورسعيد:

تواجدت مراكز متعددة للأنشطة الثقافية في بورسعيد تمثلت فى المسرح والسينما والموسيقى والغناء والإذاعة والمتاحف والصالونات الثقافية:

المسرح الأجنبى :

وجد ببورسعيد مسرح بحرى متنقل على صندل (Chaland) قبل افتتاح قناة السويس للملاحة العالمية، وكان يسير فى القناة البحرية الصغيرة وعليه فرقة من الممثلين الأجانب ، يبدأون التمثيل بدق الطبول واستعمال الناى والصفارات ثم يقومون بتمثيل بعض الروايات الصغيرة(١٠٢).

كما وجد بمدينة بورسعيد سنة ١٨٧٨م محلات للعزف والتمثيل الهزلى والغناء والبغاء(١٠٣). وقد ذكر بعض الأجانب الذين زاروا بورسعيد أو نقلوا عمن زارها وجود المسرح فى المدينة(١٠٤). وأشار بعضهم إلى أن شركة قناة السويس هى التى قامت بإنشاء المسرح وتحملت نفقات إعداده(١٠٥).

المسرح الوطنى البورسعيدى :

أنشئ فى المنزل الكائن بشارع المقدس أول مسرح فى بورسعيد ، ويذكر الحسيب الكيال الذى يؤرخ للمسرح في بورسعيد : «ترجع صلتى بفن التمثيل إلى العهد الذى كان فيه نخبة الهواة أمثال توفيق الطيب وحامد الصفطى وطلبة رضوان قد أسسوا سنة ١٩٢٧ فرقة رمسيس تيمنا بفرقة رمسيس للفنان يوسف وهبى» وكان الفن يومئذ مدرسة للتثقيف والترفيه على السواء. وقد أنشئ نادى رمسيس سنة ١٩٢٣ وكان يسمى بالنادى الأهلى، وهو نادى اجتماعى ثقافى خيرى غالبية أعضائه من الموظفين ، وكان مقره بالدور الأول بالمنزل الكائن بشارع الثلاثينى والمقدس(١٠٦).

ويرجع الفضل فى إنشائه للسيد محمد مصطفى علام(١٠٧) رئيس المستخدمين بمحافظة القناة. وبدأ نشاطه التمثيلى عام ١٩٢٧ بمنزل غندر بشارع أوجينى وفى سنة ١٩٤٠ قدم بعض أعضاء نادى رمسيس استقالاتهم وكونوا ما يعرف بنادى المسرح الذى بدأ نشاطه فى مكان نادى الليرا والذى تم تصفيته أثناء الحرب العالمية الثانية ضمن أملاك الإيطاليين فى بورسعيد واشتهر باسم نادى الجمارك لأن غالبية أعضائه من موظفى الجمارك(١٠٨).

وقدمت جماعة التمثيل بنادى رمسيس أهم روائع أمير الشعراء أحمد شوقى (مجنون ليلى) وقد حضرها فؤاد سراج الدين (١٠٩)، وكذلك مسرحية «رصاصة فى القلب» لتوفيق الحكيم. وهكذا نشأت حركة مسرحية فى بورسعيد مواكبة للحركة المسرحية فى القاهرة وسارت فى نفس الطريق حيث قدمت مسرحيات: سلامة حجازى ويوسف وهبى ونجيب الريحانى وعلى الكسار، حتى أن هناك ممثلين من بورسعيد تخصصوا فى أداء دور هؤلاء النجوم وأصبح ذلك جزءا من التراث المسرحى البورسعيدى. كما قدمت مسرحيات عالمية وظهر فى فترة متأخرة قبل الثورة مسرحيات محلية تناقش هموم وقضايا محلية. وشهدت المدينة نشاطا ثقافيا من خلال هذه المؤسسات كان يدعى إليها أدباء القاهرة البارزين ، واحتلت قضايا التراث مساحات كبيرة من المناقشات(١١٠).

الموسيقى والغناء الأجنبى:

فى أيام الآحادى كان يجتمع نخبة من سكان المدينة فى ميدان دى لسبس(١١١) حيث يستمعون إلى الجوقات الموسيقية التى تعزف أنغامها المختلفة، ويظلون فى ذهاب وإياب حول الميدان يحيون بعضهم بعضا برفع قبعاتهم على الطريقة الأوروبية(١١٢).

كذلك أقيمت حفلات موسيقية فى نفس الميدان (دى لسبس) بواسطة الفرقة الموسيقية الخاصة بالسفينة الحربية المصرية السقا Sakka والتى كانت قد ألقت مرساها فى ميناء بورسعيد ، وكان هدفها الوحيد هى تحية تطلقها مدافعها احتفالا وترحيبا بالسفن الحربية المملوكة للدول الأجنبية عند وصولها لميناء بورسعيد، والرد عند رحيلهم بإطلاق مدافع للتحية اللائقة . وكانت هذه الفرقة مكونة من ٤٠ عازفا موسيقيا يقودهم بعصاه مايسترو مصرى ، وعلى الرغم من سفر السفينة المصرية السقا من بورسعيد ومغادرتها الميناء ، فإن هذا لم يحرم المجتمع البورسعيدى من سماع المعزوفات الموسيقية حيث أنشئت التيرا سانتا Terra Santa بواسطة الأب كابوسان كليمنت Capusan Clement وبعد ذلك بفترة نظمت هذه الفرقة تحت اسم جديد هو «الليرا» Lyra بعد إنذارها وإلغائها لأنها ساهمت بالعزف فى جنازة أحد الماسونيين(١١٣).

وفى حديقة واصف(١١٤) كان يتوسطها كشك موسيقى مخصص للسيدات والأطفال(١١٥) ويبدو أنه كان هناك أكثر من مكان أو محل لسماع الموسيقى ، فإلى جانب كشك الموسيقى كان هناك نادى تقام فيه الاحتفالات ، وكان به بيانو فى مكان آخر كانت الموسيقى العسكرية تعزف فيه وكان يحضر لسماعها الأجانب والوطنيون .

الموسيقى والغناء الوطنى:

إن دراسة الفن الشعبى فى بورسعيد والذى يتمثل فى الغناء يعد مدخلا هاما لدراسة عناصر المقاومة لدى الشخصية البورسعيدية ، وهى تبدأ بأغانى «الضمة البورسعيدية» والتى يؤكد شيوخ الغناء فى المدينة أنها بدأت مع حفر قناة السويس ، فبعد يوم من العمل الشاق تحت سياط السخرة والعشرات يتساقطون يوميا أثناء الحفر، وخليط من البشر جاءوا من محافظات مختلفة من مصر لايكاد أحدهم يعرف الآخر، يواجهون مصيرا مجهولا كانت الذاكرة تأبى أن تستجيب لنداء الأجسام المنهكة لتخلد إلى الراحة ساعتها فقط يتذكرون أنهم بشر وأن لهم ماضى وحياة كانوا يحنون إليها ، يجلسون على أبواب الخيام يقول أحدهم للآخر: «ضم علينا» أى انضم لنا ويبدأون بسرد ذكرياتهم ... الأماكن التى جاءوا منها ثم يغنى كل منهم أغنية من قريته، ويدور الغناء فى الحلقة حسب ترتيب الجالسين . ومع الوقت أخذت أغانى الضمة تكتسب تقاليد الأداء بحيث أصبحت فى النهاية تؤدى كطقس غنائى ، يبدأ أحد الجالسين بافتتاح الغناء الذى يكون عادة إما بموال أو أبيات غزل أشبه بالنسيب ، ثم يأتى الدور على الذى يليه فيغنى مقطع بلحن معين ، ثم يغنى الذى يليه مقطعا آخر على نفس اللحن، وهكذا حتى يصبح دور غناء شارك فيه جميع الجالسين (١١٦).

وبعد ذلك تطور الأمر وكان الجالسون يتبارون فى ارتجال الكلمات وينظمونها فى أبيات مع إيقاع اللحن ويسمى ذلك تطور الأمر وكان الجالسون يتبارون فى إرتجال الكلمات ، وينظمونها فى أبيات، مع إيقاع اللحن ويسمى ذلك : «الدور المقسم».

وقد ورثت الأجيال التالية «الدور المقسم» ليس كمجموعة أغانى وإنما كأغنية واحدة، ولكنها تضم ملامح شتى من مختلف أنحاء مصر.

وشهدت حلقات الضمة فيما بعد غناء التراث الغنائى المصرى والعربى من الموشحات القديمة وشعر التصوف الإسلامى. وكان يستعان بوسائل بدائية قديمة وبسيطة لضبط الايقاع. وأغانى الضمة تسجل لنا بداية التفاعل بين السكان الجدد الذين وفدوا على بورسعيد من أماكن شتى فأنتج مجموع الأصوات صوتا واحدا، خرج به أولئك الناس من الحدود الفردية الضيقة إلى نطاق الجماعة، حيث ظهر الغناء كاستجابة لتفاعل الأفراد فيما بينهم وتفاعلهم مع الواقع المحيط به من ناحية أخرى .

السمسمية :

ظهرت آلة السمسمية لأول مرة فى بورسعيد حوالى الثلاثينات من القرن العشرين واستطاعت هذه الآلة الموسيقية الشعبية البسيطة، أن تطلق فنون الإبداع الشعبى تبلور الوجدان الجماعى لسكان المدينة، وهى تشبه إلى حد كبير آلة الطنبور المنتشرة فى النوبة والصعيد، والتى تطورت بدورها عن آلة الهارب الفرعونية ، ولكنها أصغر حجما من الطنبور وهى تنتسب إلى أبناء النوبة من الوافدين إلى المدينة. لكن مما ساعد على إنتشارها هو بساطتها فى العزف ولها سلم موسيقى غير مدون ، كذلك بساطة الخامات المستخدمة فيها، بحيث يتاح لأى فرد أن يقوم بصنعها باستخدام بعض العصى والأسلاك وطبق معدنى من أطباق الطعام(١١٧).

وأغانى السمسية تفيض بوصف الحياة اليومية التى تمثل أغانى العمل مساحة كبيرة منها، وهى تعطى المهاجر البورسعيدى من قرى مصر الجسارة فى مواجهة البحر، فهى أحيانا أشبه بترانيم للقتاة مصدر عيشه ، وهو يروض بها البحر، كما يثأر لنفسه من خلالها ممن يضعون العقبات أمامه ، فهى أشبه بالتميمة التى كان يحملها الإنسان الأول أو التعويذة التى يتلوها للتغلب على قوى الطبيعة . وتبرز من خلال أغانى السمسمية ملامح الشخصية البورسعيدية التى يعتبر البمبوطى والصياد محورين أساسيين فيها.

ويتم غناء السمسمية فى جماعات تسمى الصحبة «الصحبجية» ويصاحبها الرقص الذى يتميز باللياقة والرشاقة ويمثل شريحة يوم كامل فى حياة البمبوطى أو الصياد(١١٩).

كما ظهرت خلال فترة الاحتلال الإنجليزى الأغانى الوطنية التى عبأت الناس ضد الاحتلال والوجود الأجنبى، وربطت ذلك بالملاحقة اليومية له وقطع سبل عيشه .

وتحولت مشاعر الغربة (التى عانى منها جيل الآباء فى أغانى الضمة أحيانا) إلى مشاعر اغتراب لدى جيل الأبناء من فنانى السمسمية نتيجة لهذا الاحتلال(١٢٠).

وليس أبلغ هنا من صوت ابن البلد البورسعيدى وهو يشدو تحت وابل القنابل ليسمعه العالم كله بهذه الأغنية :

«إيدن و بن جوريون وجومولييه
جـــايين يحـــاربونا على إيه
هو القنال ده فى أراضـــيـــهم
ولا إحنا خـــدناه منيـــهم»(١٢١)

السينما :

وجدت ببورسعيد العديد من دور العرض السينمائى الأجنبى والعربى، فعلى سبيل المثال نجد سينما باتييه Pathe والتى انشأها الأخوان مانولى و ينى تروفيلدس وبعد ذلك أطلق عليها اسم «سينما ماجيستك».

وتوضح محاضر مجلس بلدى بورسعيد[١٢٢] أن محمد أفندى عثمان صاحب «سينما عثمان» تقدم للمجلس بتصريح له ببناء غرفة تحت البواكى لوضع ماكينة السينما توغراف ، وعرفت بعد ذلك بسينما ، ومسرح الكزموغراف المصرى، والتى ظلت تذكرة الدخول لها إلى ما قبل هدمها تقل عن القرش صاغ بمليم واحد ، حتى لاتخضع للضرائب .

وكان الكثير يدخلونها مجانا . وفى أول عهدها كانت تستضيف فرق القاهرة أمثال سلامة حجازى وجورج أبيض ونجيب الريحانى وعلى الكسار وأمين صدقى[١٢٣].

كذلك نجد أن صالة الفرقة الموسيقية «مارجيتا» تحولت إلى سينما ريو[١٢٤] وقد تم إنشاء عدد من دور السينما فضلا عن التى أنشأها الأجانب ووصل عدد دور العرض السينمائى ١٥ دارا للعرض [١٢٥].

الإذاعة :

انشاء كامل محمود فى فبراير ١٩٣٠ استوديو لأول إذاعة أهلية فى بورسعيد تحت اسم «محطة أمير الصعيد» بلغ تكاليف إنشائها ٢٠٠ جنيه، وهى محطة لها موجة ترددية على الهواء مباشرة وعلى موجة متوسطة طولها ٩٠ كيلو سيكل، وكان يعتمد فى تمويلها على الإعلانات التجارية لمختلف الأنشطة للأفراد والشركات وأيضا للمناسبات والحفلات للمصريين. وكان سعر إذاعة الإعلان قرشين لمرة واحدة، ولمدة دقيقة، وخمسة قروش للإعلان ثلاث مرات منها مرتان خلال فترة المساء والسهرة ، وكان الاشتراك فى تلك الإذاعة بمبلغ عشرة قروش شهريا ، ويمكن للمشترك الاستماع لاسطوانة واحدة يوميا لأحد مشاهير الطرب والغناء فى ذلك العصر مثل محمد عبد الوهاب وصالح عبد الحى ومنيرة المهدية والآنسة أم كلثوم .

وكانت البرامج اليومية دينية وثقافية وأدبية ورياضية ، ويبدأ إرسال الفترة الصباحية فى السادسة صباحا بتلاوة آيات الذكر الحكيم يليه رأى الدين لأحد العلماء ، وتستمر الفترة الصباحية حتى الثانية بعد الظهر. أما الفترة المسائية وتبدأ فى الخامسة وتنتهى عند منتصف

الليل وتختتم بالسلام الملكى. وكانت هذه الإذاعة تبث إرسالها لمدن القناة الثلاث بالإضافة إلى دمياط . وكانت المذيعة حياة عارف تتولى إذاعة الفترة الصباحية، أما المذيع خليل جويد فيتولى الفترة المسائية.

وفوجئت جميع محطات الإذاعة الأهلية بالقطر المصرى بإنذار من وزارة المواصلات بأن توقف هذه الإذاعات إرسالها فى يوم ٢٩ مايو ١٩٣٤ لتبدأ الإذاعة الحكومية المصرية أول إرسال لها يوم الخميس ٣١ مايو عام ١٩٣٤ بصوت المذيع يقول «هنا القاهرة»(١٢٦).

المتاحف :

رأت البلدية ببورسعيد أن تعمل على إنشاء متحف ببورسعيد تمده مصلحة الآثار بمختلف الآثار المصرية لتكون منه نموذجا مصغرا لآثار مصر عبر العصور الفرعونية والإسلامية والقبطية كما يشمل معرضا للوحات الزيتية من صنع فنانى مصر وآخر زراعيا لمختلف منتجاتها الزراعية (١٢٧).

وعلى ناصية شارع النصر نجد منزل رزق الله وهذا المنزل ارتبط بإنشاء أول متحف فى تاريخ بورسعيد ففى جلسة ٢٠ مايو سنة ١٩٢٢ عرض رئيس المجلس البلدى (المحافظ محمود صدقى بك) رغبة مصلحة الآثار المصرية فى مد المجلس البلدى (بالأنتيكات) اللازمة للمتحف المزمع إنشاؤه بالدور الأرضى فى منزل (الخواجة) رزق الله وبجلسة ٨ يوليو ١٩٢٢ وافق أعضاء المجلس البلدى على طبع دليل باللغات : العربية والإنجليزية والفرنسية وبجلسة ٥ مايو سنة ١٩٢٣ المنعقدة برئاسة المحافظ (حسن مظلوم بك) وعلى أثر افتتاح المتحف ثم تعيين لجنة إدارية برئاسة رئيس المجلس سعادة حسن مظلوم بك وعضوية مهندس مصلحة الآثار وأعضاء المجلس البلدى والمسيو سيمونينى والدكتور سكوفويلو وإبراهيم أفندى لهيطة والدكتور على أفندى البحراوى.

وبجلسة ٨ سبتمبر ١٩٢٣ تليت المذكرة التالية (أن كثيرا من السياح يجدون أن أجرة المتحف هى خمسة قروش كثيرة جدا فلا يدخلونه ومن جهة أخرى فإن التراجمة يهملون عمدا إرشاد السياح إلى المتحف لأنهم يفضلون الذهاب بهم إلى المحلات التى تعطى للتراجمة عمولة، فقرر القومسيون أن تخفض أجرة الدخول إلى قرشين ونصف أو ستة بنسات ، وأن تعط للتراجمة مكافأة)(١٢٨).

ولم يستمر المتحف طويلا فى منزل رزق الله، إذ نقل إلى أول شارع النهضة بمبنى الغرفة التجارية(١٢٩).

الصالونات الثقافية والفنية:

أولا ـ الأجنبية :

عند تقاطع شارع دى لسبس بشارع فرعون (١٣٠) يقابلنا «مقهى اللوفر» وأعلاه نادى الجالية الفرنسية، التى كان لها نشاط فى الاحتفالات والندوات والمحاضرات، فنظمت محاضرة لأمين متحف اللوفر بباريس (الأب دو بورجيه) Pere du Bourget عن التاريخ المصرى القديم بصفة عامة والفن المصرى القديم بصفة خاصة ، وكذلك النسيج فى العصر القبطى، وتخلله عرض بالشرائح الزجاجية الملونة عن روائع الفن المصرى القديم ، الموجود بمتحف اللوفر بباريس (١٣١). كذلك نجد نادى الرابطة الفرنسية Alliance L' Francaise ، وكان عميد الجالية الفرنسية طبيب الأسنان د. جوتير (Dr. Gautier) وكان لهذه الرابطة نشاط ثقافى راقى، فكانت تنظم المحاضرات وتقيم المعارض فمثلا فى ٢٠ مارس ١٩٥١ افتتح عبد الهادى غزالى بك(١٣٢) المعرض الخاص بالرسامين الفرنسيين العالميين خلال القرن التاسع عشر . وفى ١٨ ديسمبر ١٩٥٢ ألقى البروفيسور زيوجين (Ziogicn) وهو أستاذ محاضر بجامعة الإسكندرية ، محاضرة عن فلسفة الكاتب الفرنسى جان بول سارتر (١٣٣). أما بالنسبة للنشاط الثقافى للجالية الإيطالية ، فنجد أن جمعية «دانتى اليجيرى» ببورسعيد وهى إيطالية قد نظمت محاضرات كان يقوم بإلقائها الدكتور Lugi Duri وهى محاضرات فى ٩ فبراير ١٩٥٢ و١٢ مايو ١٩٥٢ عن تاريخ بورسعيد(١٣٥).

وبالنسبة للجالية المالطية نجد أن ناديها الثقافى وكان يسمى «بالنادى المالطى» : (Mul-tese Club) وكان يقع بجوار سينما ماجستيك وكان من أشهر نوادى الجاليات الأجنبية فى بورسعيد . وعقدت فيه الندوات الثقافية وفى ٥ أغسطس من كل عام كانت هذه المنطقة تعج بجمع غفير من أبناء الجالية المالطية بالإضافة إلى لفيف من أبناء الجاليات الأخرى الذين يحضرون الاحتفال بالعيد الوطنى المالطى(١٣٦).

ثانيًا – الوطنية :

وبالنسبة للنشاط الثقافى الوطنى نجد أن محل الحاج سليمان كان منتدى لأهل الفكر والدين ويضم كوكبة من العلماء والشعراء مثل : الشيخ محمود حلبة وهو الرجل الموسوعى

وعميد الصحافة البورسعيدية والشيخ معوض إبراهيم (كبير مفتشى الوعظ والإرشاد بمنطقة القناة) والأستاذ على الألفى (شاعر القناة) والحاج عبده أبو الخير (من كبار تجار الخضر والفاكهة ببورسعيد) كانوا يلتقون كل يوم لقراءة ومناقشة كتاب من كتب الدين والآداب(١٣٧).

كذلك كانت المقاهى الوطنية أشبه بصالونات ثقافية، فنجد «مقهى الاتحاد» (١٣٨)، قد افتتحه «محمد أفندى» سمى بمقهى الاتحاد نسبة إلى شعار حزب الوفد الذى كان ينادى بوحدة عنصرى الأمة ، من مسلمين وأقباط . وثبت صاحب المقهى صورة كبيرة للزعيم سعد زغلول نظرا لأن أغلب روادها من مؤسسى حزب الوفد . وكان رواد هذا المقهى من رجال الأعمال بالإضافة إلى رجال الفكر والأدب البورسعيدى كشاعر القناة على الألفى ومحمد شردى (مراسل صحيفة المصرى) والأديب عبد الهادى الحديدى. كما كانت مقرا لرؤساء النادى المصرى وعلى رأسهم الحاج عوض فقوسة(١٣٩).

وعلى أية حال يمكن لنا إيجاز الحركة الثقافية الوطنية فى بورسعيد فى الآتى:

أولاً : هذه الحركة الثقافية التى تطورت ونمت داخل المدينة كانت تسير فى رافدين: حركة المثقفين والثقافة الشعبية المحلية، كانتا تهدفان إلى تجسيد أبعاد الشخصية المحلية والقومية فى مواجهة الوجود الأجنبى وتأكيد هويتها .

ثانيًا : بروز وتطور شعور المقاومة- نتيجة الوجود الأجنبى- فقد عبر عن نفسه من خلال الفنون الجماعية ذات الاتصال المباشر بالجمهور، أكثر من الفنون الفردية، إذ ظهر المسرح والأغنية الشعبية الجماعية عن باقى الأشكال الثقافية الأخرى.

ثالثًا : ارتبطت حركة المثقفين بإنشاء المؤسسات الثقافية وقد اقتبست أشكال تلك المؤسسات من الجاليات الأوروبية ، وإن كانت ذات مضامين وتوجيهات وطنية فى حين أن الثقافة الشعبية قد خلقت أشكالها الخاصة، فقد لاقت أغانى «الضمة القديمة والسمسمية» إقبالا واسعا ، فى حين أن أغانى «البيانولا» التى كانت منتشرة بالمدينة أثناء وجود الجاليات الأجنبية حتى فى المناطق الشعبية قد اندثرت برحيل الأجانب.

رابعًا: ارتبطت حركة المثقفين بالأبعاد القومية من خلال ارتباطها بالحركة الثقافية فى مصر بشكل عام وبرزت فيها الأبعاد المحلية خلال فترات الحروب وتصاعد المقاومة، فى حين أن الثقافة الشعبية التى جسدت الأبعاد المحلية كانت تبرز فيها الأبعاد القومية خلال تلك الفترات.

خامسا : لم يكن هناك انفصال بين حركة المثقفين وبين الثقافة الشعبية المحلية ومبدعيها ، حيث يوجد مبدعين يمثلون حلقة اتصال بين الجانبين، وتندرج إبداعاتهم بين استيعاب الحركة الثقافية للمثقفين والتعبير التلقائى الشعبى، وهم مؤثرون بدرجة كبيرة داخل المدينة ومنهم عدد من شعراء السمسمية وفنانيها.

العلاقة بين الأجانب والمصريين ببورسعيد:

يتحدث البعض عن صدام- الحضارات - ولكننا نجد فى هذه المدينة تعايشًا للحضارتين والثقافتين الأوربية والمصرية ، جنبًا إلى جنب على مدى قرن من الزمان- هى فترة الدراسة- فقد أخذت كل واحدة من الأخرى بقدر ما تسمح به العادات والتقاليد.

فقد أقام الأجانب فى الحى الإفرنجى ببورسعيد ، وأقام المصريون بقرية العرب ببورسعيد، كما ذكرنا من قبل . وإذا عقدنا مقارنة بين كل من مركز الأجانب والمصريين ببورسعيد ، لوجدنا أن الأجانب قد تمتعوا بكافة الامتيازات وبحماية قناصلهم وتأييدهم. أما المصريون فكانوا فى مركز يلى الأجانب الذين توفرت لهم أيضًا كافة أسباب الحياة الكريمة والرفاهية بدرجة أكبر من المصريين.

ولم يكن الأجانب يلتزمون بالقوانين والأوامر والتعليمات ، بينما نجد أن المصريين كانوا أكثر التزامًا. لذلك كان إحساس المصريين فى بورسعيد أنهم مواطنون من الدرجة الثانية فى الوقت الذى اعتبر الأجانب أن بورسعيد هى بلدهم لما يتمتعون به من مميزات ومكانة اجتماعية وخدمات تفوق ما يتمتع به الوطنيون(١٤٠).

وكان الوطنى إذا أراد الذهاب لحى الأفرنج يقول لزميله : «أنا طالع حى الأفرنج» وإذا اتجه لحى العرب يقول»: «أنا نازل حى العرب».

ورغم انفصال المدينة إلى حيين متميزين- كما سبق وأوضحنا- إلا أنه كانت هناك اتصالات واحتكاكات بين الأجانب والمصريين . فهناك ظاهرة زواج طبيب مستشفى بورسعيد وهو مصرى من فتاة نمساوية طبقًا للشريعة الإسلامية. وقد أثبت الطبيب فى طلب الزواج موافقة الزوجة وموافقة أسرتها أيضًا.

كذلك أعلنت إحدى السيدات المسيحيات إسلامها برضاها ورغبتها. ومع ذلك لايمكن القول أن امتزاج الأجانب والمصريين كان بصورة كبيرة ، فقد ظل المصريون وأبناء العرب يقيمون

فى قرية العرب يمارسون فيها حياتهم وعاداتهم ومعيشتهم كما كانت من قبل فى موطنهم الأصلى، بينما أقام الأجانب فى الحى الأفرنجى وعاشوا حياة شبيهة بحياتهم فى بلادهم الأصلية . وقد ظلت قرية العرب بعاداتها وتقاليدها مثاراً لإعجاب الكثير من الأجانب وخاصة السياح (١٤١).

من جانب آخر نلاحظ كثرة حوادث اعتداء الأجانب على المصريين وأبناء العرب ببورسعيد. ومن أمثلة ذلك تعدى بعض اليونانيين على حمال مصرى وعدم تسديد أجرته وكذلك التعدى على مؤذن مسجد بورسعيد وعلى بعض صغار التجار، وتعدى إيطالى على فتاة مصرية بالسكين . ولم يكن الاتصال بوكلاء القناصل يفيد بشئ لصالح المعتدى عليهم، فضلاً عن عدم معاقبة المعتدين فى ظل نظام الامتيازات الأجنبية والتسلط القنصلى .

وامتدت هذه الاعتداءات فشملت مستخدمى الحكومة المصرية من العسكريين والمدنيين، فحدثت حوادث اعتداء كثيرة من بعض اليونانيين والفرنسيين والإيطاليين وغيرهم على قواصة بورسعيد وعلى غفر السواحل وعلى مستخدمى الجمارك (١٤٢).

كما نجد أن موظفى شركة قناة السويس من الفرنسيين- فى ظل الترف الذى نعموا به- وقد اتسمت تصرفاتهم بالعنجهية والترفع إزاء المصريين(١٤٣).

ظاهرة أخرى تمثلت فى توافد أعداد هائلة من السياح الأجانب على مدينة بورسعيد، وكان بمثابة احتكاك حضارى وثقافى بين الوافدين وأهل المدينة. وهكذا أصبح ثغر بورسعيد ملتقى الأجناس البشرية من مشارق الأرض ومغاربها . فكان الممر الرئيسى ليس فقط لتجارة الشرق والغرب بل أيضاً لحركة الركاب بين الشرق والغرب (خلال فترة الدراسة) (١٤٤).

فالسفر بالسفن كان هو الوسيلة الوحيدة بين القارات حتى منتصف القرن العشرين إلى أن نافست الطائرة السفينة فى حركة نقل الركاب بين الشرق والغرب .

وكانت بورسعيد محطة رئيسية ينزل فيها الركاب من كل الأجناس ، يمضون فيها الليل انتظاراً لعبور سفنهم فى الصباح ، وكان الآلاف من الركاب يستمتعون بقضاء وقتهم فى هذه المدينة التى نافست ميناء نيويورك فى حركة السفن بها طوال العام(١٤٥).

وعندما تقترب السفينة من ميناء بورسعيد يقع نظر الركاب على أول مبنى على ناحية شارع السلطان حسين وشارع كتشنر، وهو مبنى كازينو بورسعيد الفخم ، حيث توفرت فيه

جميع أسباب الراحة. كذلك يطالعهم متجر «سيمون أرزت» وفندق «مارينا بالاس» ومكاتب شركة قناة السويس ذات القباب الثلاث واستراحة ضباط الأسطول البريطانى لشرق البحر المتوسط ومبنى قسم الميناء الجديد ببورسعيد [١٤٦]، وفندق «أيسترن اكتستشنج» أو البيت الجديد الواقع عند تقابل شارع فؤاد الأول بشارع أوجينى[١٤٧].

وبعد أن يخرج الركاب من أبواب الجمرك يتجهون إلى شارع الأمير فاروق الذى كان يعرف باسم «شارع التجارة» حيث يجدون أمامهم مكتب التلغراف فيتسابقون إليه لإخطار ذويهم باتجاهاتهم أو بمحمل وصولهم. وبعد ذلك يندسون فى زحام الشوارع . وهنا تجد أصحاب المتاجر وهم ينادون هؤلاء السياح بكل لغات العالم فى أبواق مضخمة للصوت، فهذا صاحب مكتبة يدعو لمكتبته باللغة الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والألمانية واليونانية، حسب ما يتوسمه فى جنسية هؤلاء السياح .

وهذا بائع صحف يصيح بأعلى صوته مقاربًا لبيع جرائده ، وذاك ينادى على أدوات الكتابة وآخر على الملابس وآلات التصوير ، وذلك ببيع نظارات مكبرة وهنا مصنوعات شرقية، وهناك صراف يستبدل العملة الأجنبية بعملة محلية. وبعد عبور هذا الضجيج الذى تختلط فيه جميع اللغات تصل إلى تقاطع شارع فاروق بشارع فؤاد الأول حيث توجد مشارب البيرة ومقاهى من الدرجة الأولى يستريح فيها السياح لبعض الوقت ويتناولون شيئًا من المرطبات . وتوجد فى كل هذه المقاهى فرق موسيقية تعزف أحدث الأدوار الموسيقية بأشجى الأنغام جذبًا للزبائن.

وتتعدد أخلاط السياح ، فنجد الهندى السابح فى أحلامه وبجواره الصينى بعيونه الصغيرة البراقة وبجواره اليابانى وبجواره الطالب الأنامى فى طريقه إلى جامعات باريس وبرفقته زميله الطالب الماليزى المبعوث إلى الجامعة الأزهرية بالقاهرة.

كما تجد أيضًا السائح الأمريكى وقد أحاط به الباعة والصيارفة والأدلاء والحمالون وبجواره الأوربى المشدود أمام مناظر الشرق الآخاذة.

هنا يبدأ تعارف الشرقى بمقدمات الحضارة الغربية ، ويبدأ تعارف الغربى بمقدمات الحضارة الشرقية، فتتلاشى قوة الصدمة التى تنتج عن الانتقال الفجائى بين الشرق والغرب.

تلك هى خاصة بورسعيد التى تتميز بها عن سائر المدن بعد أن أصبحت محطة أساسية للخطوط الملاحية ولخطوط سفن الركاب على وجه الخصوص[١٤٨].

وكان ملوك مصر وأمرائها وكبار رجالاتها يفضلون السفر من ميناء بورسعيد عن السفر عن طريق ميناء الإسكندرية. فكانت أول زيارة رسمية للملك الشاب فاروق الأول ببورسعيد فى ٢٧ مارس ١٩٣٧ عندما توجه لأوربا ترافقه والدته الملكة نازلى وشقيقاته الأميرات، حيث زار إيطاليا وفرنسا وسويسرا وكان فى استقباله ببورسعيد محافظ القناة (محمد السيد شاهين بك) وأعيان بورسعيد(١٤٩).

العبور الليلى للسفن فى قناة السويس:

ظلت قناة السويس منذ افتتاحها للملاحة العالمية (١٨٦٩) وحتى عام ١٨٨٦ تخضع لنظام الملاحة نهارًا فقط. ولكن فى عام ١٨٨٦ تم تزويد السفن بكشاف فى مقدمتها Projector لينير لها الممر الملاحي ونجحت التجربة وكان ذلك بمثابة ثورة فى حركة الملاحة بالقناة، وكان لذلك أثره الفعال اقتصاديًا وسياسيًا على مجريات الأمور، وتهدئة الصراع بين الشركة وعملائها والحكومة البريطانية بسبب التأخير فى عبور السفن فقد كان المعدل الزمنى لعبور السفن القناة فى عام ١٨٨١ هو ٤٥ ساعة و٥٣ دقيقة ، وارتفع إلى ٥٣ ساعة ، ٤٦ دقيقة عام ١٨٨٢ بسبب القيود الصحية التى فرضها الحجر الصحى . وكانت السفن تفقد ١٠ ساعات فترة الانتظار الليلى، وهو متوسط الليل فى مصر . إلا أنه فى عام ١٨٨٦ بعد تطبيق نظام العبور الليلى بلغ المتوسط الزمنى لعبور القناة ٢٠ ساعة و٤٢ دقيقة وهذا يمثل نسبة خفض قدرها ٤٢٪ من زمن العبور.

إلا أن هذا العبور السريع أثر فى نفس الوقت على أصحاب الحوانيت فى بورسعيد ، ذلك أن ركاب السفن لم يعودوا فى حاجة إلى قضاء الليل فى الشرب بالميناء فى انتظار العبور بالقناة . كذلك أضر بتجارة البمبوطية وزاد من الحوادث الملاحية لقوارب الأهالى(١٥٠).

الهوامش

١- عبد العزيز الشناوى، السخرة فى حفر قناة السويس (عصر سعيد) ، ص١٥ .

٢- فؤاد فرج ، منطقة قناة السويس ص٢١٨ .

٣- Sabri, M., Bey L'Empire Egyptienne sous Ismail et L'ingerence Anglo francaise. Paris 1933 , p. 207 .

٤- عبد العزيز الشناوى، السخرة فى حفر قناة السويس (عصر اسماعيل) ص٤١٥ .

٥- فؤاد فرج، مرجع سابق ص٢١٨ .

٦- قام دى لسبس بتجميع أبناء جزيرة كاسوس اليونانية فى منطقة واحدة عرفت بحارة الكاشوتية فى جزء من شارع محمد على- راجع : ضياء الدين ، بورسعيد ص١٤٨ .

٧- ضياء الدين، بورسعيد ص٧٨ .

٨- ضياء الدين، بورسعيد ص١٤٧ .

٩- مدير جريدة Phar Port Said .

١٠- ضياء الدين، المرجع السابق ، ص١٥٨ .

١١- ولدت سنة ١٨١٩ وجلست على العرش ١٨٣٧ وتوفيت ١٩٠١ .

١٢- وهى تابعه لشركة المساجيرى ماريتيم الفرنسية.

١٣- Charles Roux, L'Isthme et le Canal de Suez t . 2. Paris 1901 . p. 335-336 .

١٤- نحات فرنسى (١٨٢٤-١٩١٠) .

١٥- روبير سوليه ، مصر ولع فرنسى ص٢٦٩ .

١٦- Charles Roux, t. 2 . Op. cit. pp. 338-341 .

١٧- أحمد شفيق باشا، مذكراتي فى نصف قرن ج٢ سلسلة تاريخ المصريين العدد رقم ٨٤ ، ص ص٣١٤-٣١٥ .

١٨- المرجع السابق، ص٣١٦ .

١٩- فؤاد فرج، مرجع سبق ذكره ص ص٢٢٦-٢٢٧ ، وانظر الرسم بملحق الدراسة .

٢٠- روبير سوليه ، مصر ولع فرنسى ص٢٧٠ .

٢١- السيد حسين جلال، قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوروبى ص ص٢٣٩-٢٤٣ .

٢٢- عبد العزيز الشناوى وجلال يحيى، وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف، ١٩٦٩ ، ص٦١١ .

٢٣- جلسة مجلس بلدى بور سعيد فى ٢٢ / ٩ / ١٩٣٢ وكان الماجور هدسون (من الجيش الاسترالى).

٢٤- ضياء الدين، مرجع سبق ذكره ، ص١٣٧ .

٢٥- المرجع السابق .

٢٦- ضياء الدين، الأطلس التاريخى. الطبعة الثالثة ، ص ص١٠٥-١٠٦ .

٢٧- بيير سوليه . مصر ولع فرنسى ص٣١٨ .

٢٨- المرجع السابق .

٢٩- المرجع السابق .

٣٠- يعرف الآن باسم : الثلاثينى أو شارع سعد زغلول .

٣١- فؤاد فرج ، منطقة قناة السويس ص٢٣٥ .

٣٢- ضياء الدين، مرجع سبق ذكره ص٨٨ .

٣٣- مرجع سابق ص١٤٨ .

٣٤- إن هذا النوع من التعليم قد بدأ لأغراض دينية بحتة ، حيث كانت البابوية تستهدف نشر نفوذها فى الشرق وفى مصر خاصة وإخضاع الأقلية القبطية الأرثوذكسية فى مصر لرياستها ، وكذلك بذلت الأرساليات الدينية البروتستنتية مجهودات كبيرة لتحويل أقباط مصر إلى البروتستنتية (فى القرن التاسع عشر) . راجع جرجس سلامة، تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر ص١٥ .

٣٥- ضياء الدين، موسوعة تاريخ بور سعيد ص٦٥ .

٣٦- راجع كل من : أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم فى مصر، القسم الثانى، ص٨٤٦ ، جرجس سلامة، تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر ص١٣٩ وزين العابدين، بورسعيد ص٣٤٦-٣٤٧ .

٣٧- زين العابدين ، بورسعيد ص٣٤٧ وأحمد عزت عبد الكريم ، مرجع سبق ذكره ص٨٤٦ .

٣٨- زين العابدين ، بورسعيد ص٢٤٧-٢٤٨ .

٣٩- سلامة جرجس، التعليم الأجنبى فى مصر ص١٤٤-١٥٤ .

٤٠- المرجع السابق ص١٥٤ .

٤١- زين العابدين شمس الدين، بورسعيد ص٣٤٨ .

٤٢- المرجع السابق.

٤٣- المرجع السابق ص٣٤٨-٣٤٩ .

٤٤- المرجع السابق ص٣٤٩ .

٤٥- المرجع السابق ص٣٥٠ .

٤٦- جرجس سلامة، تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر ص٥٣ .

٤٧- زين العابدين شمس الدين، بورسعيد ص٣٥١ .

٤٨- عبد الفتاح تركى وأخرون، تاريخ التعليم فى مصر، ص١٣٢-١٣٣ .

٤٩- زين العابدين شمس الدين، بورسعيد ص٣٥١ .

٥٠- المرجع السابق ص٣٥٢ .

٥١- وهو مدير البنك العثمانى فى بورسعيد .

٥٢- وهو يعمل صراف بشركة قناة السويس.

٥٣- وكيل ملاحى.

٥٤- وكيل مؤسسة اللويدز الألمانية ببورسعيد .

٥٥- زوجات السادة كوفيدو وفرنشيس وهاسيه وباينيه رونز برج وراتشيوتى .

٥٦- I . Dorini , Eltimsah . pp. 31-32 .

٥٧- زين العابدين شمس الدين، بورسعيد ص ص٣٥٢-٣٥٣ .

٥٨- المرجع السابق ص٣٥٤ .

٥٩- المرجع السابق.

٦٠- وهو مدير شركة ليبون الخاصة بالإنارة فى بور سعيد .

٦١- I. Dorini , Eltimsah, Op. cit , p. 32 .

٦٢- أمين سامى ، التعليم فى مصر ص٦٦ ، ٧٩ .

٦٣- زين العابدين ، مرجع سبق ذكره ص٣٥٦ .

٦٤- المرجع السابق ص٣٥٩ .

٦٥- المرجع السابق ص٣٥٩- ٣٦٠ .

٦٦- المرجع السابق ص٣٦٠ .

٦٧- أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ص٣١٧-٣٥٤ .

٦٨- حسين واصف باشا الذى نسب إليه اسم المدرسة .

٦٩- ضياء الدين حسن القاضى ، بورسعيد ص١١٩ .

٧٠- زين العابدين شمس الدين، بورسعيد ص٣٦٣ (نقلا عن وثائق القلعة) .

٧١- وهو إمام جامع القرية ، وهو عالم فاضل .

٧٢- زين العابدين شمس الدين، بورسعيد ص٣٦٣ .

٧٣- جرجس سلامة ، تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر ص٣٨ .

٧٤- إحصائية وزارة التربية والتعليم عام ٥٧ / ١٩٥٨ الملحق الإضافى ١١٠١ .

جرجس سلامة ، أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر (١٨٨٢-١٩٢٢) ، ص٢٣٤ .

٧٥- R . Gault , the Conflict of French Educational Philosophies in Egypt , pp. 6-8 .

٧٦- وهى لسان حال سلطات الاحتلال .

٧٧- جريدة المقطم بتاريخ ١٥ يوليو ١٨٩٠ .

٧٨- جريدة المقطم فى ٢١ نوفمبر ١٨٩٠ .

٧٩- عبد الفتاح تركى وآخرون ، تاريخ التعليم فى مصر ص١٦٨ .

٨٠- المرجع السابق ص١٦٨-١٦٩ .

٨١- المرجع السابق ص١٦٩ .

٨٢- روبير سوليه ، مصر : ولع فرنسى، ترجمة لطيف فرج . الهيئة المصرية العامة للكتاب ص٣٩١ .

٨٣- المرجع السابق ص٣١٩ .

٨٤- زين العابدين شمس الدين، بورسعيد ص٣٦٧ .

٨٥- I. Dorini , Eltimsah , Port- Said aprés, L, inaugeration du canal du Suez (1869-1900) , p. 32 .

٨٦- زين العابدين شمس الدين، بور سعيد، ص٣٧٠-٣٧١

٨٧- I . Dori , Op. cit .

٨٨- زين العابدين ، بورسعيد ص٣٧٢-٣٧٣ .

٨٩- I. Dori , Op. cit . p. 32 .

٩٠- زين العابدين ، بورسعيد ص٣٧٣ .

٩١- المرجع السابق جرجس ٣٧٣-٣٧٥ .

٩٢- I. Dori , Op. cit. p. 32 .

٩٣- زين العابدين شمس الدين، بور سعيد ص٣٧٦-٣٧٧ .

٩٤- المرجع السابق ص٣٧٧ .

٩٥- المرجع السابق .

٩٦- I. Dori, Op. cit. p. 32 .

٩٧- Ibid .

٩٨- زين العابدين شمس الدين، بورسعيد ص٣٧٩ .

٩٩- المرجع السابق ص٣٧٩-٣٨٠ .

١٠٠- سهام بيومى ، الثقافة فى بورسعيد من المقومة إلى الانفتاح. مقالة فى مجلة المنتدى الفكر ببورسعيد الكتاب الثالث (مارس ١٩٩٥) إصدار كلية التربية ببورسعيد.

١٠١- المرجع السابق ص٥٩ .

١٠٢- عبد العزيز الشناوى ، السخرة فى عصر إسماعيل .

١٠٣- دفتر ٣٧٨ وثائق عابدين رقم ٣٥٩ ، ٣٧٢ ، ٤٠٠ فى ٢ ، ١١ ، ٥ صفر سنة ١٢٨٨هـ - و٨ صفر سنة ١٢٩٥هـ .

١٠٤- زين العابدين شمس الدين، بور سعيد ص٣٨١ .

١٠٥- المرجع السابق ص٣٨١ .

١٠٦- حاليا أعلى محل أبوذكرى للأسماك .

١٠٧- ضياء الدين ، بور سعيد ص١٦٣ .

١٠٨- المرجع السابق ص١٢٦ .

١٠٩- وزير الداخلية آنذاك.

١١٠- سهام بيومى، مرجع سابق نكره ص ص٥١-٥٢ .

١١١- الآن يسمى ميدان المنشية.

١١٢- فؤاد فرج ، منطقة القناة ص ص٢٣٤-٢٣٥ .

١١٣- Lugi Dori, Op. cit. pp. 34-35 .

١١٤- نسبة إلى المحافظ حسين واصف .

١١٥- ضياء الدين، بورسعيد ص١٣٧ .

١١٦- سهام بيومى مرجع سبق ذكره ص ص٥٢-٥٣ .

١١٧- المرجع السابق ص ص٥٣-٥٤ .

١١٨- المرجع السابق .

١١٩- المرجع السابق ص ص٥٤-٥٥ .

١٢٠- المرجع السابق ص٥٥ .

١٢١- المرجع السابق ص٩٥ .

١٢٢- محضر مجلس بلدى بيور سعيد بتاريخ ٢٥ يوليو ١٩٢٠ .

١٢٣- ضياء الدين ، بورسعيد ، ص١٥٩ .

١٢٤- المرجع السابق ص١٢٨ .

١٢٥- سهام بيومى ، مرجع سبق ذكره ص٥١ .

١٢٦- ضياء الدين ص ص١٦٢-١٦٣ .

١٢٧- فؤاد فرج ص٢٤٢ .

١٢٨- ضياء الدين ص١٣٦-١٣٧ .

١٢٩- المرجع السابق ص١٣٧

١٣٠- راجع أسماء الشوارع القديمة وأسماءها الحالية من البحث.

١٣١- ضياء الدين ، مرجع سابق ذكره ص١٥٩ .

١٣٢- محافظ القناة.

١٣٣- ضياء الدين ، مرجع سابق ص١٢٦ .

١٣٤- كان والده يعمل مترجما لدى دى لسبس .

١٣٥- Lugi Dori , Op. cit . p. 28 .

١٣٦- ضياء الدين، بورسعيد . مرجع سبق ذكره ص١١١ .

١٣٧- المرجع السابق ص١٥٩ .

١٣٨- كان يقع فى شارع الهلالية .

١٣٩- ضياء الدين ، بورسعيد ص١٦٣ .

١٤٠- زين العابدين شمس الدين، بورسعيد ، ص ص٩٥-٩٦ .

١٤١- المرجع السابق ، ص٩٩ .

١٤٢- المرجع السابق ، ص ص٧٦-٧٧ .

١٤٣- جاك بيرك ، مصر الإمبريالية والثورة ، ترجمة يوسف شاهين ، ص٢٣٨ .

١٤٤- راجع جدول حركة عبور الركاب عبر قناة السويس فى فترة الدراسة فى ملحق البحث.

١٤٥- بلغت أعداد السفن التى كانت تعبر القناة ٢٠,٠٠٠ سفينة سنويًا .

١٤٦- وهو جوازات الميناء حاليًا .

١٤٧- فؤاد فرج ، منطقة قناة السويس، ص ص٢٢٩-٢٣٠ .

١٤٨- لمزيد من التفاصيل عن الخطوط الملاحية التى تعبر قناة السويس، راجع للمؤلف كتاب: الصراع الدولى حول استغلال قناة السويس (١٨٦٩-١٨٨٣) الهئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، ص ص٨٥-١٠٥ .

١٤٩- ضياء الدين ، بورسعيد ، ص١٤٠ .

١٥٠- Bulletin Decadaire , No . 532 , 22 September, 1886 .

مراجع البحث

أولاً : المراجع العربية :

١- أحمد شفيق باشا، مذكراتي في نصف قرن (جـ٢)، سلسلة تاريخ المصريين، العدد ٨٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢- د. أحمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى مصر إسماعيل ، مكتبة النصر، القاهرة، ١٩٤٥ .

٣- د. السيد حسن جلال ، قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢-١٩٠٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين، العدد ٨٠ ؛ ١٩٩٥ .

٤- د. السيد حسن جلال ، الصراع الدولى حول استغلال قناة السويس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

٥- جاك بيرك، مصر .. الإمبريالية والثورة ، ترجمة يونس شاهين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،. القاهرة ، ١٩٨٧ .

٦- د. جرجس سلامه ، تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة، ١٩٦٣ .

٧- د. جرجس سلامه ، أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر (١٨٨٢-١٩٢٢)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (ط١) ، ١٩٩٦ . .

٨- روبير سوليه ، مصر : ولع فرنسى، ترجمة لطيف فرج، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ١٩٩٩ .

٩- د. زين العابدين شمس الدين نجم ، بورسعيد (تاريخها وتطورها منذ نشأتها ١٨٥٩ حتى عام ١٨٨٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ .

١٠- سهام بيومى، الثقافة فى بورسعيد ، الكتاب الثالث، كلية التربية ببورسعيد ، مارس ١٩٩٥ .

١١- ضياء الدين حسن القاضى، موسوعة تاريخ بورسعيد ، ط١ ، مطبعة المستقبل ببورسعيد ، ١٩٩٧ .

١٢- ضياء الدين حسن القاضى ، الأطلس التاريخى لبطولات شعب بورسعيد عام ١٩٥٦، ط٢ ، مطبعة المستقبل ببورسعيد .

١٣- د. عبد العزيز محمد الشناوى، السخرة فى حفر قناة السويس (عصر سعيد) منشأة المعارف بالاسكندرية ، ط٢ ، ١٩٦٦ .

١٤- د. عبد العزيز محمد الشناوى، السخرة فى حفر قناة السويس (عصر اسماعيل، ١٩٥٢) .

١٥- د. عبد العزيز محمد الشناوى ، د. جلال يحيى ، وثائق ونصوص - التاريخ الحديث والمعاصر ، دار المعارف ، ١٩٦٩ .

١٦- د. عبد الفتاح إبراهيم تركى وآخرون ، تاريخ التعليم فى مصر، مطبعة جامعة طنطا ، (بدون تاريخ) .

١٧- د. عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ مصر الحديث والمعاصر (١٥١٧-١٩١٩) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٩٧ .

١٨- فؤاد فرج ، منطقة قناة السويس (المجلد الثانى) ، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، ١٩٩٤ .

ثانيًا - المراجع أجنبية :

1- Charles Roux , L'isthme et la Canal de Suez T.2, Paris 1901 .

2- R. Gault , The Conflict of French Educational Philosophies in Egypt.

3- Sabri, M. Bey , L'Empire Egyptienne sous Ismail et Ingerence Anglo-Francaise , Paris , 1933 .

ثالثا : دوريات عربية :

- جريدة المقطم .

رابعًا - دوريات أجنبية :

1- Eltimsah , Lugi Dorini , Port Said aprés L'inaugeration du Canal du Sues. (1869-1900) .

2- Le Canal De Suez, Bulletin Décadaire de la Compagnie Universlle du Canal Martime de Suez.

ملاحق البحث

بيان بأسماء شوارع بورسعيد القديمة والأسماء الحديثة

الأسماء القديمة	دلالاتها	الأسماء الحديثة
Rue Des Dames	شارع السيدات	شارع معفيس
بوليفار دى بورت *	شارع الميناء	شارع فؤاد الأول وحاليا شارع الجمهورية
شارع البولانجيرى	شارع المخابز	شارع القسطنطينية
شارع لاسيرى	شارع ورشة الخشب	شارع رمسيس
شارع دى سيركل	شارع الدائرة أو شارع النادى	شارع فرعون
شارع ارسينال	شارع الترسانة	شارع اسماعيل
شارع اوجينى	(امبراطورة فرنسا)	شارع صفية زغلول
بولا ديفيزيون	شارع التفتيش أو القسم	شارع سعيد
شارع بابل	لم يتغير	شارع بابل
شارع التجارة	————	شارع فاروق وحاليا النهضة
كيه دى نورد	الرصيف الشمالى	شارع دى لسبس وحاليا سعد زغلول
كيه دى سيد	الرصيف الجنوبى	شارع الإسكندر الأكبر
ميدان دى لسبس	————	ميدان سعد زغلول

* هذا الشارع هو الشارع الرئيسى بالمدينة وأسماء الفرنسيون هكذا ليذكرهم بمدينة مرسيليا .

(حركة الركاب في قناة السويس)

(١٨٧٠-١٩٥٤)

السنة	عدد الركاب	السنة	عدد الركاب	السنة	عدد الركاب
١٨٧٠	٢٦,٧٥٨	١٨٩٨	٢١٩,٥٥٤	١٩٢٦	٢٨٦,٤٣٢
١٨٧١	٤٨,٤٢٢	١٨٩٩	٢٢١,٣٣٢	١٩٢٧	٣٤٠,٣١٨
١٨٧٢	٦٧,٦٤٠	١٩٠٠	٢٨٢,٥١١	١٩٢٨	٣١٧,٧١٨
١٨٧٣	٦٨,٠٣٠	١٩٠١	٢٧٠,٢٢١	١٩٢٩	٣٢٥,٨٥٥
١٨٧٤	٧٣,٥٩٧	١٩٠٢	٢٢٣,٥١٣	١٩٣٠	٣٠٥,٢٠٢
١٨٧٥	٨٤,٤٤٦	١٩٠٣	١٩٦,٠٢٤	١٩٣١	٢٧٠,٦٥٧
١٨٧٦	٧١,٨٤٣	١٩٠٤	٢١٠,٩٨٠	١٩٣٢	٢٦١,٧٧٤
١٨٧٧	٧٢,٨٢٢	١٩٠٥	٢٥٢,٦٩١	١٩٣٣	٢٥٣,٩٤٠
١٨٧٨	٩٩,٢٠٩	١٩٠٦	٣٥٣,٨٨١	١٩٣٤	٢٦٢,١٢٢
١٨٧٩	٨٤,٥١٢	١٩٠٧	٢٤٣,٨٢٦	١٩٣٥	٦٢٥,٤٦٥
١٨٨٠	١٠١,٥٥١	١٩٠٨	٢١٨,٩٦٧	١٩٣٦	٧٨١,٩٢٩
١٨٨١	٩٠,٥٢٤	١٩٠٩	٢١٣,١٢٢	١٩٣٧	٦٩٧,٨٠٠
١٨٨٢	١٣١,٠٦٨	١٩١٠	٢٣٤,٣٢٠	١٩٣٨	٤٧٩,٨٠٢
١٨٨٣	١١٩,١٧٧	١٩١١	٢٧٥,٢٥٩	١٩٣٩	٤١٠,٥٢٣
١٨٨٤	١٥١,٩١٦	١٩١٢	٢٦٦,٤٠٣	١٩٤٠	١٦٧,٨٠٥
١٨٨٥	٢٠٥,٩٥١	١٩١٣	٢٨٢,٢٣٥	١٩٤١	١٤,١٢٤
١٨٨٦	١٧١,٤١١	١٩١٤	٣٩١,٧٧٢	١٩٤٢	٥٩٠
١٨٨٧	١٨٢,٩٩٧	١٩١٥	٢١٠,٥٣٠	١٩٤٣	١٧٣,٢٦٩
١٨٨٨	١٨٣,٨٩٥	١٩١٦	٢٨٣,٠٣٠	١٩٤٤	٤١٨,٨٣٢
١٨٨٩	١٨٠,٥٩٤	١٩١٧	١٤٢,٣١٣	١٩٤٥	٩٨٣,٩٣٧
١٨٩٠	١٦١,٣٥٣	١٩١٨	١٠٥,٩١٤	١٩٤٦	٩٣٢,٠٠٧
١٨٩١	١٩٤,٤٦٧	١٩١٩	٥٢٧,٥٠٢	١٩٤٧	٥٨٧,١٣٥
١٨٩٢	١٨٩,٨٠٩	١٩٢٠	٥٠٠,١٤٧	١٩٤٨	٤٥٤,٨٦٤
١٨٩٣	١٨٦,٤٩٥	١٩٢١	٢٩٥,١٩٩	١٩٤٩	٦١٠,٩٥١
١٨٩٤	١٦٥,٩٨٠	١٩٢٢	٢٧٥,٠٣١	١٩٥٠	٦٦٤,٢٨٤
١٨٩٥	٢١٦,٩٣٨	١٩٢٣	٢٤٦,٣٣١	١٩٥١	٥٨٨,٩٤٧
١٨٩٦	٣٠٨,٢٤٣	١٩٢٤	٢٦٣,٨٦٩	١٩٥٢	٥٧١,٤١٦
١٨٩٧	١٩١,٢١٥	١٩٢٥	٢٦٩,٥٢٢	١٩٥٣	٥٥٤,٠٩٣
				١٩٥٤	٥٣٧,٩٧٦

المصدر كل من :

Paul Raymond , Histoire De la navigation dans le canal de suez . le Caire. 1956, p. 247 .

Hallberg , W. charles ., The Suez Canal . its history and diplomatic importance . London. 1931 , p. 351 .